روايات مصرية للجيب

ملف المستقبل

١٠١

الحرباء

Looloo

www.helmelarab.net

ملف المستقبل

فى مكان ما من أرض (مصر) ، وفى حقبة ما من حقب المستقبل ، توجد القيادة العليا للمخابرات العلمية المصرية ، يدور العمل فيها فى هدوء تام ، وسرّية مطلقة ؛ من أجل حماية التقدّم العلمى فى (مصر) ، ومن أجل الحفاظ على الأسرار العلمية ، التى هى المقياس الحقيقى لتقدّم الأمم .. ومن أجل هذه الأهداف ، يعمل رجل المخابرات العلمية (نور الدين محمود) ، على رأس فريق نادر ، تم اختياره فى عناية تامة ودقة بالغة ..

فريق من طراز خاص ، يواجه مخاطر حقبة جديدة ، ويتحدّى الغموض العلمى ، والألغاز المستقبلية ..

إنها نظرة أمل لجيل قادم ، ولمحة من عالم الغد ، وصفحة جديدة من الملف الخالد ..

ملف المستقبل .

د. نبيل فاروق

١ ــ الفخ ..

« الدكتور (ناظم) .. رئيس مركز الأبحاث ، يطلب الإذن بالدخول .. » .

ترددت تلك العبارة بذلك الصوت نصف الآلى ، الذى يميز جهاز الأمن الإليكترونى ، فى حجرة القائد الأعلى للمخابرات العلمية ، الذى ألقى نظرة على شاشة المراقبة ، وتطلع طويلا إلى وجه الدكتور (ناظم) ، الذى يملأ الشاشة ، قبل أن يقول فى حزم :

ــ هل تم التحقق من شخصيته ؟

أجابه جهاز الأمن الإليكترونى :

ــ بكل الوسائل المعتادة .. تم فحص بصمات اليدين ، وتوزيع المسام العرقية ، وقزحية العين ، وروجعت أبعاده كلها على البيانات المسجّلة ، والنتيجة إيجابية .

عقد القائد الأعلى حاجبيه ، وهو يقول :

ــ فليتم فحص بصمته الجينية أيضا (*)

(*) البصمة الجينية : مصطلح يطلق على التركيب الجينى لأى مخلوق بعد أن أثبتت الأبحاث العلمية أن لكل شخص تركيبا جينيا خاصا ، يختلف تمام الاختلاف عن التركيب الجينى لكل من عداه من المخلوقات الحية ، بحيث صار التركيب الجينى أشبه ببصمات اليد ، بل ويذهب البعض إلى أنه أكثر دقة ، وأكثر قدرة على تمييز الشخصيات ، من بصمة الأصابع نفسها

كان هذا الإجراء مبالغا للغاية . إلا أن الدكتور (ناظم) لم يبد أدنى اعتراض . عندما برزت ذراع آلية ، من تجويف خاص مجاور للباب ، وامتدت نحوه بلا صوت . ثم خرجت من طرفها إبرة دقيقة . ذات نهاية مزدوجة . وانغرست فى ذراعه . وظلت داخلها لثانية واحدة . قبل أن تتراجع مع الذراع . والصوت نصف الآلى يقول :

ـ تم فحص البصمة الجينية . والنتيجة إيجابية .

تنهد القائد الأعلى فى ارتياح ، وقال :

ـ فليسمح له بالدخول إذن .

تحرك الباب فى سرعة وصمت ، وعبره الدكتور (ناظم) فى خطوات واسعة . فنهض القائد الأعلى يستقبله ويصافحه ، وهو يقول :

ـ معذرة يا دكتور (ناظم) ، ولكنك تعلم السبب فى مضاعفة نظم الأمن على هذا النحو .

أومأ الدكتور (ناظم) برأسه إيجابا ، وتنهد بدوره ، قبل أن يقول :

ـ نعم .. أعلم هذا .. كان الله فى عوننا جميعا .

عاد القائد الأعلى إلى مقعده ، وهو يسأله فى اهتمام شديد :

ـ هل توصلتم إلى شىء جديد ؟

أجابه الدكتور (ناظم) :

ـ نعم .. ولكن ما توصلنا إليه لا يبشر بالخير . ففحص جينات ذلك الشىء ، من العينة التى وردت إلينا ، يشير إلى أنه خارق للمألوف ، وقدراته تتجاوز ما يمكن أن يستوعبه العقل . حتى أننى أشعر بقلق لا حدود له .

زفر القائد الأعلى ، قبل أن يغمغم :

ـ لن يبلغ مقدار قلقى .

ثم اعتدل مستطردا :

ـ هل تعلم كم ضحية أحصيناها لذلك الشىء ، حتى هذه اللحظة ؟.. أكثر من عشرة رجال وامرأتين .. وستة من البشر ، دفعت ثمن عبث العلماء .

قال الدكتور (ناظم) فى أسى :

ـ إنها عملية عنيفة وبالغة الخطورة بالفعل .

وأدار عينيه إلى القائد الأعلى ، مضيفا فى حزم :

ـ وتحتاج إلى فريق من نوع خاص .

قال القائد الأعلى :

ـ لقد أرسلنا فريقا من نوع خاص بالفعل .

أجابه الدكتور (ناظم) :

- لست أقصد فريق الرائد (أيمن) . فصحيح أنهم تلقوا تدريبات مكثفة ، وأثبتوا خلالها تفوقا ملحوظا . ولكنك أول من يعلم أن الشجاعة والقوة وحدهما لا يصلحان فى عالمنا .. إننا نحتاج أيضا إلى الخبرة ، وفى هذا المضمار ليس لدينا سوى فريق واحد .

واكتسى صوته برنة خاصة ، مع استطرادته :

- فريق (نور) .

مط القائد الأعلى شفتيه ، وقال :

وأين فريق (نور) ؟

أجابه الدكتور (ناظم) فى سرعة :

- الجميع هنا يقولون إن (نور) وفريقه عادوا من (أرغوران) ، بعد أن حققوا انتصارا رائعا هناك ، وأن عودتهم هذه ستصبح فتحا جديدا فى عالم الفضاء ، والسفر عبر الكواكب ، بعد أن تجاوزوا حاجز الزمن ، واختصروا رحلة تستغرق عامين فى المعتاد ، إلى شهرين فحسب (*)

هز القائد الأعلى رأسه ، قبل أن يقول :

- خطأ يا رجل .. المعلومات التى بلغتكم لم تكن

(*) راجع قصة (الزمن = صفر) .. المغامرة رقم (١٠٠) .

كاملة ، ربما لأنها ما زالت تحت درجة من درجات السرية .. صحيح أن (نور) ورفاقه حققوا انتصارا رائعا فى (أرغوران) ، وصحيح أن سفينة الفضاء التى رحلوا فيها ، والأخرى التى عادوا بها ، قد انطلقتا بسرعة تفوق سرعة الضوء ، مما اختصر زمن رحلتهم ، وتجاوز نظرية (أينشتين) التقليدية (*) ، إلا أن الفريق لم يعد كما كان .. لقد أصيبت قدم (رمزى) إصابة بالغة ، ولقى (محمود) مصرعه ، كما أن (سلوى) تحمل جنينا آخر فى رحمها ، والأطباء يؤكدون أنها تحتاج إلى راحة تامة هذه المرة ، وإلا فقدت جنينها .

قال الدكتور (ناظم) فى ارتياع :

- رباه ! .. أيعنى هذا أن (نور) وفريقه قد انمحيا من خريطة المخابرات العلمية !!

أجابه القائد الأعلى بسرعة :

- (نور) يعمل فى المخابرات العلمية ، قبل أن يكون فريقه هذا ، ويمكنه أن يعمل مع فريق جديد .

(*) تعتبر نظرية (أينشتين) أن الوصول إلى سرعة الضوء مستحيل ؛ لأن الحجم يقل ، والكثافة تتزايد مع الكتلة ، مع ازدياد السرعة ، بحيث تصل الكتلة إلى ما لا نهاية ، عند سرعة الضوء

سأله الدكتور (ناظم) :

ــ هل تظن هذا ؟

أجابه القائد الأعلى فى حزم :

ــ (نور) رجل مخابرات من الطراز الأول . وهو مستعد دوما لتلبية نداء الواجب . مهما كانت الظروف والملابسات .

صمت الدكتور (ناظم) لحظات . ثم قال :

ــ ولكن . باستثناء مصرع (محمود) . فكل الأمور مؤقتة .. قدم (رمزى) ستشفى مع مرور الوقت . و (سلوى) ستضع حملها . و ..

قاطعه القائد الأعلى :

ــ لا تكن متفائلا إلى هذا الحد .. لقد استقال (رمزى) من الفريق رسميًا . وتزوج (نشوى) . ابنة (نور) و (سلوى) . والتحق معها بعمل جديد ، فى معسكرات التدريب العسكرية فى (المريخ) . حيث سيقومان بالتدريس لرجال الفرق الخاصة هناك . و (سلوى) أعلنت أنها لم تعد تحتمل هذه الحياة العنيفة . وأنها نالت منها ما يكفيها . وترغب فى التقاعد نهائيا . وتم قبول طلبها . وأعفيت من العمل فى قسم العمليات الخاصة . وربما تسند إليها وظيفة إشرافية هنا . بعد أن تلد .

تنهد الدكتور (ناظم) مرة أخرى . وقال فى أسف :

ــ ياللخسارة !.. لقد خسرنا فرقة من أفضل فرق العمليات الخاصة .

أجابه القائد الأعلى :

ــ ليس بعد .. هناك اقتراح بإعادة تكوين الفريق . ولكن على نحو مختلف تماما .

سأله فى اهتمام :

ــ ما هو ؟

هز القائد الأعلى رأسه نفيا . وهو يجيب :

ــ لا يمكننى إبلاغك الآن .

بدت خيبة الأمل على وجه الدكتور (ناظم) ، وتراجع قائلا :

ــ فليكن .. أنا أعلم تعقيدات الأمن والسرية هنا .. كل ما فى الأمر هو أننى كنت أحلم بأن يستطيع ذلك الفريق الجديد مواجهة تلك المشكلة الرهيبة . التى نحن بصددها الآن .

انعقد حاجبا القائد الأعلى . وهو يقول :

ــ كنت أتمنى هذا أيضا . ولكن الوقت لن يسمح لنا بذلك . ففى كل يوم يمضى . يفقد المجتمع ضحية جديدة . ما دام ذلك الشىء حرًا طليقًا . وكل ما نأمله

هو أن ينجح الرائد (أيمن) وفريقه فى إيقاف تلك المذبحة ، وإلا فسأستعيد عبارتك . التى بدأت بها حديثنا

واكتسى صوته برنة أسى ، وهو يستطرد :

ــ كان الله فى عوننا جميعا .

نطقها بلهجة تشف فى وضوح عن حجم تلك المشكلة ..

أو تلك الكارثة ..

* * *

غرقت تلك المنطقة المهجورة ، من (القاهرة) القديمة ، فى بحر من الصمت والسكون ، فى تلك الساعة المتأخرة ، وعلى الرغم من المظهر الذى توحى به الأطلال ، من عدم وجود أدنى أثر للحياة فى المنطقة ، تحرك أربعه أشخاص فى حذر تام ، خلف أحد الجدران المتهدمة ، وبرز من بينهم الرائد (أيمن) ، وهو يهمس فى خفوت شديد :

ــ ماذا لدينا الآن ؟

أجابه خبير الاتصالات فى اهتمام وبنفس الهمس الخافت :

ــ لقد تأكدت من الإشارات للمرة الرابعة .. إننا

نسير فى الطريق الصحيح .

سأله (أيمن) :

ــ إذن فأنت واثق من أنه هنا .

أشار خبير الاتصالات بيده ، قائلا :

ــ فى مكان ما هنا ، ولكن من العسير تحديد موقعه بالضبط ، فهو يتغير بسرعة كما تعلم .

التفت (أيمن) إلى خبير الطاقة ، وسأله فى توتر :

ــ وماذا عن الطاقة المنبعثة منه ؟! .. ألا يمكننا قياسها ، وتحديد موقعه بناء على ذلك ؟!

صمت خبير الطاقة لحظات فى تردد ، قبل أن يجيب :

ــ هذا ممكن إلى حد ما ، ولكن المعلومات التى لدينا تشير إلى أنه يستطيع التحكم فى الطاقة المنبعثة منه ، على نحو خاص ، لذا فمن العسير أن نعتمد على هذه الوسيلة ، مالم نكن على قيد أمتار قليلة منه .

عقد (أيمن) حاجبيه ، وقال فى حنق :

ــ هذا لا يصلح أبدًا .

تنحنحت الخبيرة البيولوجية ، قبل أن تقول مترددة :

ــ ربما أمكننا دراسة سلوكه السابق ، وتحديد النمط الذى يسير عليه ، وبعدها يمكننا استنتاج خطواته القادمة .

سألها (أيمن) فى لهفة :

ـ وكم يستغرق هذا ؟

بدت مرتبكة ، وهى تجيب :

ـ عشر ساعات على الأكثر :

هتف محنقا :

ـ عشر ساعات ؟!

ثم انتبه إلى ارتفاع صوته . فعاد يخفضه فى سرعة . وهو يستطرد فى عصبية :

ـ وهل تعتقدين أن ذلك الشىء سينتظرنا لعشر ساعات كاملة ؟

هزت كتفيها فى ارتباك ، مغمغمة :

ـ هذا كل ما يمكننى فعله .

اعتدل الرائد (أيمن) فى حزم ، وهو يقول :

ـ كلا .. لن يصلح هذا .. سأتعامل بأسلوبى أنا .

ثم التفت إليهم ، مستطردا :

ـ ستبقى أنت هنا ، لدراسة النمط السلوكى لذلك الشىء ، أما نحن ، فسننقسم إلى ثلاث فرق ، كل فرقة من رجل واحد .. خبير الاتصالات سيدور خلف الجانب الأيمن للأطلال . فى محاولة لالتقاط أية إشارات أخرى ، وخبير الطاقة سيحمل جهازه الصغير ،

ويبحث عن أية طاقة يبعثها ذلك الشىء ، من الجانب الأيسر ، أما أنا ، فسأقتحم الأطلال مباشرة للبحث عنه ، وسيحمل كل منا جهاز اتصال خاصًا ، له موجة محدودة ، بحيث يمكن لكل شخص إبلاغ ما لديه للآخرين ، فور عثوره على كشف جديد .

سأله خبير الاتصالات فى قلق :

ـ وماذا لو باغتنا ذلك الشىء ؟

أجابه (أيمن) فى صرامة :

ـ حاول ألا تسمح له بهذا ، واستخدم سلاحك فور عثورك عليه .. أنتم تعلمون الأوامر .. لا ضرورة للحفاظ على حياته .

غمغم خبير الطاقة :

ـ المهم ألا يعثر هو علينا أولا .

رمقه (أيمن) بنظرة صارمة ، قبل أن يقول فى حزم :

ـ والآن هيا .. سننطلق على بركة الله .

لم تشعر خبيرة الطاقة بالارتياح ، عندما تركها الثلاثة وحدها ، داخل سيارة البحث ، وانطلقوا يغوصون وسط الظلام والأطلال ، ولكنها أوصدت الباب خلفهم فى إحكام ، وغمغمت وهى تستدير إلى جهاز الكمبيوتر :

ـ أعتقد أننا مصابون بالجنون ، لقبولنا مثل هذه المهمة .

ثم أطلقت من أعمق أعماق صدرها زفرة حارة ، جمعت كل ما يعتمل فى نفسها من قلق وخوف وتوتر ، قبل أن تتجه أصابعها إلى أزرار الكمبيوتر ، وتبدأ عملها ..

وفى نفس اللحظة ، كان خبير الطاقة يتقدم فى توتر شديد ، عبر الأطلال القديمة ، وعيناه تدوران حوله فى قلق وسرعة ، وهو يتمتم لنفسه :

ـ ترى أين يمكن أن يختبئ شىء كهذا ؟.. المشكلة أنه يستطيع تغيير شكله بسرعة مدهشة ، ولا يمكننا أبدًا تحديد شكله الحقيقى .

ثم تنهّد مستطردًا :

ـ عزائى الوحيد ، هو أن التحوّل يحتاج إلى مزيد من الطاقة ، التى يمكن قياسها على الفور ، و ..

قبل أن يتمّ عبارته ، انبعث فجأة أزيز خاص من جهاز فحص الطاقة الذى يحمله ، فانتفض جسده كله فى عنف ، وتلفّت حوله فى ارتياع ، قبل أن يهتف :

ـ إنه هنا .. إنه هنا .

كان المكان من حوله يبدو هادئًا ساكنًا ، وعلى

الرغم من هذا ، استمر الجهاز فى إطلاق أزيزه المتصل ، فاتسعت عينا خبير الطاقة فى هلع ، وضغط زر جهاز الاتصال ، وهو يقول بصوت مبحوح :

ـ إنه هنا .

أتاه صوت (أيمن) يهتف :

ـ هل عثرت عليه ؟!

ارتجف الرجل ، وهو يدير عينيه مرات أخرى فى المكان الخالى ، قائلًا :

ـ لست أرى شيئًا حولى ، ولكن الجهاز يؤكد أنه هنا .

سأله (أيمن) :

ـ أأنت واثق بنتائج جهازك هذا ؟

أجابه الرجل ، وتوتره يتضاعف :

ـ تمام الثقة .. إنه هنا ، ولكننى أجهل أين .. ربما ..

بتر عبارته هذه المرة ، وأكملها بشهقة ذعر هائلة ، وهو يحدّق فى كومة من الصخور أمامه ، وقد بدأت تهتز ، وتتمايل على نحو عجيب ، يتنافى تمامًا مع صلابتها ، قبل أن تتغيّر هيئتها ، وتبرز إلى أعلى ، متخذة شكلًا آخر ، جعل عينا خبير الطاقة تتسعان فى

رعب هائل . وهو يصرخ :

ـ رباه ! .. إنه هو .. إنه هو .

صاح به (ايمن) :

ـ أطلق النار عليه يا رجل .. استخدم سلاحك بسرعة .

لم يكد (أيمن) ينهى عبارته ، حتى نقل إليه جهاز الاتصال صوت فحيح رهيب ، أشبه بفحيح مائة ثعبان غاضب ، امتزج بصرخة رعب رهيبة ، انطلقت من حلق خبير الطاقة ، الذى صاح :

ـ لا .. اتركنى .. لا ..

ثم تحولت صيحته إلى صراخ ألم وفزع ، اختلطت بالفحيح الوحشى ، فصاح (أيمن) وهو يعدو بكل قوته نحو الجانب الأيسر للأطلال :

ـ تماسك يا رجل .. تماسك .

كان يجرى بكل ما يستطيع من قوة ، ويثب عبر كل ما يعترض طريقه ، وقلبه يخفق فى شدة ، حتى بلغ موضع خبير الطاقة ، فتوقف بغتة ، حتى أنه كاد يسقط على وجهه ، بتأثير القصور الذاتى (*) ، وهو

(*) القصور الذاتى : هو الخاصية التى تحاول المحافظة على الجسم الساكن فى حالة سكون ، أو جعل الجسم المتحرك يتحرك فى خط مستقيم . ولقد اشتق هذا من قانون (نيوتن) الأول للحركة

يطلق شهقة قوية . ويحدق فى ذلك الشىء المتكوم على الأرض ..

وكان ذلك الشىء هو جثة خبير الطاقة ..

أو ما تبقى منها بمعنى أدق ..

كان من الواضح أن المسكين تعرض لهجوم وحشى رهيب . فقد التهم ذلك الشىء جزءا من عنقه ، وانتزع ذراعه اليمنى من جسده ، واخترق معدته بمخالبه ..

وهتف (أيمن) فى ارتياع .

ـ رباه ! .. يالها من وحشية !

وصل إليه خبير الاتصالات ، وهو يتم عبارته ، فصاح الرجل فى ذعر ، عندما وقع بصره على جثة زميله :

ـ يا للهول !.. لقد مزقه إربا .

تلفت (أيمن) حوله فى توتر شديد ، ولوح بمسدسه قائلا :

ـ ولكنه لم يبتعد كثيرا .. إنه فى مكان ما حولنا حتما .. أنا واثق من هذا .

سأله خبير الاتصالات فى ذعر :

ـ وكيف يمكننا العثور عليه !؟

قال (أيمن) :

ـ ربما لو استخدمنا جهاز كشف الطاقة ، الذى ..

قاطعه خبير الاتصالات ، وهو يشير إلى الأرض ، قائلا :

ـ أتقصد هذا ؟

انعقد حاجبا (أيمن) فى عصبية ، وهو يحدق فى الجهاز ، الذى يشير إليه خبير الاتصالات ، وقد تحطم تماما ، وقال فى حدة :

ـ سنجد وسيلة أخرى حتما .

ثم أشار أمامه ، مستطردا :

ـ اذهب من هنا ، وسأنطلق أنا إلى هناك ، ولو وقع بصرك عليه ، أطلق عليه النار مباشرة ، واصرخ عبر جهاز الاتصال .

سأله الرجل بصوت مرتجف :

ـ كما فعل زميلنا .

أجابه (أيمن) فى خشونة :

ـ حاول أن تتعلم من التجربة .

بدا التوتر الشديد على وجه خبير الاتصالات ، وهما ينفصلان عن بعضهما ، وسط الظلام وبين الأطلال ، وتمتم فى عصبية :

ـ كنت أفضل أن نتحرك معا .

وحاول أن يبتلع خوفه وتوتره ، وهو يسير بين الأطلال فى حذر شديد ، ويدير عينيه فيما حوله ، حتى ابتعد كثيرا ، وغمغم لنفسه :

ـ يبدو أننى أسير فى اتجاه آخر ، فلم ألمح أدنى أثر لذلك الشىء ، منذ فارقت الرائد (أيمن) ، وأعتقد أنه ليس من ..

بتر عبارته بغتة ، عندما شعر بحركة خفيفة خلفه ، واستدار إلى مصدرها فى سرعة متوترة ، وهو يصوب مسدسه ، و..

واتسعت عيناه فى ذهول شديد ، وهو يحدق فى ذلك الشخص الواقف أمامه ، قبل أن يهتف فى صوت مبحوح ، من فرط الانفعال .

ـ أنت ؟!

هذا لأن الواقف أمامه كان شخصا يستحيل أن يتوقع رؤيته حيا ..

كان زميله الخبير ..

خبير الطاقة .

* * *

٢ ـ الوحش ..

انتفض جسد خبير الاتصالات فى عنف ، وهو يحدق فى زميله خبير الطاقة فى رعب ..

والعجيب أن خبير الطاقة بدا له سليما معافى ، دون أدنى أثر لإصابات أو تمزقات ، مما جعله يهتف به فى ذهول :

ـ مستحيل !.. كيف عدت إلى الحياة !!.. لقد رأيتك بنفسى ، و ..

قاطعه خبير الطاقة بإشارة من سبابته على شفتيه ، وكأنه يدعوه للصمت ، فأطبق الرجل شفتيه على الفور ، وراح يتطلع إليه فى شىء من الحيرة والقلق ، فى حين تقدم نحوه خبير الطاقة فى صمت ، وسبابته ما زالت على شفتيه ، و ..

وفجأة ، انتبه خبير الاتصالات إلى عينى خبير الطاقة ، وسرت فى جسده ارتجافة عنيفة ، جعلته يرتد إلى الخلف كالمصعوق ، وهو يهتف :

ـ رباه !.. عيناك .. إنهما ..

قبل أن يتم عبارته ، مال خبير الطاقة نحوه بغتة ، فالتقت عيونهما مباشرة ، واتسعت عينا خبير الاتصالات فى ارتياع ، وصرخ :

ـ لا .. إنه أنت .. لا .

وجلجلت صرخة الرعب الهائلة ، التى أطلقها خبير الاتصالات ، فى كل ركن من أركان الأطلال القديمة ، وبلغت مسامع (أيمن) ، الذى انتفض جسده بدوره ، واستدار إلى مصدر الصرخة ، هاتفا :

ـ لا .. ليس ثانية .

وجرى بكل قوته نحو مصدر الصرخة ، وكل خلية فى جسده تنتفض توترا ، حتى بلغ ذلك الموضع ، الذى التقى فيه خبير الاتصالات بذلك الشىء ، الذى تقمص هيئة زميله خبير الطاقة ، وهناك توقف (أيمن)، والتقى حاجباه فى شدة ، وهو يحدق فى أرضية المكان ..

لم يكن هناك أثر لخبير الاتصالات ، أو حتى جثته ..

ولكن كانت هناك بركة من الدماء تغرق المكان ..

بركة هائلة ، مخيفة ، تبدو وكأن ذلك الشىء قد استنزف كل قطرة دم فى جسد خبير الاتصالات المسكين ..

وفى مزيج من الثورة والتوتر والغضب ، راح (أيمن) يتلفت حوله ، صارخا :

ـ لماذا فعلت هذا ؟.. لماذا ؟

ثم أطلق أشعة مسدسه فيما حوله ، مستطردا :

ـ أين أنت ؟.. أين ذهبت ؟!.. اظهر لو أنك تجرؤ على هذا .. اظهر وسأمزقك إربا .

كان يصرخ فى ثورة ، عندما لمح بغتة ذلك الجسم ، الذى يختفى خلف جدار قريب ، فاستدار إليه فى سرعة ، وتوترت أصابعه فى شدة ، وهو يهتف :

ـ أنا أعلم أين أنت .. استسلم أو ..

قالها ، وهو يثب نحو الجدار ، ويدور حوله بحركة مرنة عنيفة ، مصوبا مسدسه إلى ذلك الجسم ، وكادت سبابته تعتصر الزناد ، عندما انتفض جسده بغتة ، واتسعت عيناه فى ذعر وهلع ، وهتف :

ـ مستحيل !

كان ذلك الجسم الممزق أمامه ، هو جثة خبير الاتصالات ، وقد انفصل رأسه عن جسده ، والقى على قيد نصف متر منه ..

وفى ذهول وعصبية ، هتف الرائد (أيمن) :

ـ ولكن كيف ؟! .. وماذا عن بركة الدماء ؟!

فى نفس اللحظة ، التى نطق فيها عبارته ، كان هناك تحول عجيب يصيب بركة الدم ..

لقد توتر سطحها لحظات ، ثم ظهر فى منتصفها انبعاج غريب ، راح يمتد إلى أعلى فى سرعة ، وحجمه يتضخم ويتزايد ، ليتخذ شكل كائن مخيف ..

كائن فى حجم بشرى ، ولكن تكوينه أشبه بتكوين سحلية كبيرة ..

أو أشبه بالحرباء (*) ..

حرباء ضخمة ، مخيفة ، حدقت فى ظهر الرائد (أيمن) بعينين مشقوقتين طوليا ، كعينى ثعبان سام ، ثم برزت أنيابها ، وانطلق من حلقها فحيح مخيف ، أشبه بفحيح مائة ثعبان غاضب ..

ومع صوت الفحيح ، استدار الرائد (أيمن) فى سرعة ، ليواجه ذلك الوحش .

وكانت مواجهتهما الأولى ...

(*) الحرباء : زاحفة صغيرة بطيئة الحركة ، تعيش على الأشجار فى (أفريقيا) وجنوب (آسيا) ، يتغير لون جلدها بالانفعالات ، وتغير حدة الضوء ودرجة الحرارة ، عيناها جاحظتان ، تحركهما فى اتجاهات كثيرة ، ولسانها طويل ، تقتنص به الحشرات

كان هناك تحوّل عجيب يصيب بركة الدم ..

لقد توتر سطحها لحظات ، ثم ظهر فى منتصفها انبعاج غريب ..

صحيح أن (أيمن) تلقى فيضا من المعلومات . وشاهد عشرات الصور . الخاصة بهذا المخلوق ، إلا أن المواجهة المباشرة كانت تختلف ..

تختلف كثيرا ..

لقد انقض الوحش بسرعة خاطفة . قبل أن يضغط (أيمن) زناد مسدسه . وضرب بمخالبه يد هذا الأخير . فمزق جزءا من معصمه ، إلا أنه لم ينجح فى إسقاط مسدسه . إذ أن (أيمن) وثب جانبا فى سرعة ، وهو يهتف فى توتر شديد :

ـ يا إلهى !

وبكل الانفعال المشتعل فى كيانه . صوب مسدسه إلى الوحش ، وضغط الزناد ..

وانطلقت الأشعة القاتلة ..

ولكنها لم تصب هدفها ..

لقد انحنى الوحش فى سرعة ، وتراجع بقفزة واحدة إلى الخلف ، متجاوزا خيط الأشعة ، قبل أن يصدر فحيحه المخيف ، ويتطلع إلى عينى (أيمن) فى تحد وحشى . فهتف هذا الأخير . وهو يصوب إليه مسدسه مرة أخرى :

ـ النجاح لا يتحرك دائما فى اتجاه واحد أيها الوغد .

كان يسدد فوهة مسدسه نحو رأس الوحش تماما ، ولكنه فوجئ بذلك الرأس يتموج بغتة ، ويتشكل على نحو عجيب ، لم يلبث أن امتد إلى الجسد كله فى لحظات ، ليتخذ شكلا مدهشا ..

شكل (أيمن) نفسه ..

واتسعت عينا الرائد (أيمن) فى ذهول ، وهو يحدق فى ذلك العمل الخارق ، وانفرجت شفتاه عن هتاف مبهور :

ــ مستحيل !

كان يصوب مسدسه إلى نفسه تقريبا ..

نفس القامة ..

نفس الزى ..

ونفس الملامح ..

فيما عدا العينين ..

كانتا مخيفتين ، مشقوقتين طوليًا كعيون الثعابين ، و...

وفجأة ، انقض الوحش ..

كانت مناورته ناجحة تماما ، فشتتت انتباه الرائد (أيمن) ، وشغلته بالتحديق فى صورته المنسوخة ، فلم ينتبه إلا ومخالب الوحش فى صدره ..

وكان الألم رهيبا ..

وفى سرعة ووحشية ، انغرست الأنياب القاتلة فى عنقه ، فتفجرت دماؤه غزيرة حارة ، و..

وانتهى الصراع فى لحظات معدودة ..

* * *

انهمكت الخبيرة البيولوجية طويلا فى فحص ودراسة النمط السلوكى ، لعدد من الزواحف والحيوانات ، ومقارنة بعضها بالبعض ، وبأنماط سلوكية بشرية مختلفة ، حتى تملكها التعب ، فتراجعت بمقعدها ، وغمغمت فى إرهاق :

ــ يالها من عملية شاقة ! .. ذلك الشىء يمتلك نمطًا سلوكيًا بالغ التعقيد ، على نحو يستحيل معه استنتاج خطواته القادمة .

وزفرت فى حرارة ، قبل أن تستطرد :

ــ كيف يمكننا مواجهة شىء كهذا ؟!

لم تكد تتم عبارتها ، حتى سمعت دقًا على باب عربة الاختبارات ، فالتفتت فى مزيج من الدهشة والفزع إلى شاشة المراقبة ، وانعقد حاجباها فى توتر ، عندما وقع بصرها على صورة الرائد (أيمن) ، التى نقلتها آلات المراقبة ، وهو يدق باب العربة ..

كان مصابا بجرح فى كتفـه ، تنزف منه الدمـاء ، فهتفت به ، عبر جهاز اتصال محدود :

ـ (أيمن) ؟! .. ماذا أصابك ؟.. هل واجهت ذلك الشىء ؟

استدار يلقى نظرة على آلـة التصوير الصغيرة ، التى تنقل صورته إلى الشاشة .. ثم عـاد يدق البـاب ، دون أن يجيب ، فقفزت من مقعدها ، هاتفة :

ـ حسن .. حسن .. لا داعى للتوتر .. سأفتح على الفور .

كانت أصابعها تمتد نحو زر فتح الباب ، عندما استدار هو مرة أخرى إلى حيث آلة تصوير الفيديو ، و..

وتجمدت أصابعها فى الهواء ..

بل وتجمدت كل قطرة دم فى عروقها ، وهى تحدق فى تلك العينين ، اللتين امتلأت بهما الشاشة ، واللتين بدتا أشبه بعينى ثعبان سام ..

وتراجعت الخبيرة البيولوجية وهـى تصـرخ فـى ارتياع :

ـ أنت لست (أيمن) .. لست هو .

وهنا أطلق ذلك الشىء ، الذى انتحل هيئة (أيمن) فحيحا مخيفا ، وبدا وكـأن ملامحه تذوب وتتموج ، ليستعيد شكله الأصلى ..

شكله الشبيه بسحلية عملاقة ، ذات قوام بشـرى وهيئة مخيفة ..

وصرخت الخبيرة البيولوجية فـى رعـب هـائل ، وضغطت كل أزرار الاتصال ، التى استطاعت أصابعها بلوغها ، صائحة :

ـ النجـدة .. إنه هو .. لقد هاجمنى فى عربة الاختبارات .. أرسلوا نجدة عاجلة .. وبأقصى سرعة .. النجدة .. النجدة .

وكأنما فهم ذلك الشىء رسالتها ، فقد أصابته نوبة هياج عنيفة ، فراح يدق الباب بقبضتيه ، ويطلق فحيحه الوحشى المخيف ، والخبيرة البيولوجية تصرخ وتصرخ ، وتصرخ ..

وراحت الأطلال القديمة تردد ذلك المزيج من الفحيح والصرخات طويلا ..

طويلا جدًا ..

* * *

انحدرت دمعة حارة من عينى (سلوى) ، وهى تعانق ابنتها (نشوى) فى حرارة ، وتربت عليها فى حنان ، قائلة :

ـ من يصدق هـذا ؟.. ابنتنـا العزيـزة أصبحـت عروسا !

قاوم (نور) دموع سعادته ، وهو يبتسم قائلا :

ــ وتزوجت من !!.. صديقنا العزيز (رمزى) .. ياللعجب !

ابتسم (رمزى) بدوره ، وهو يقول :

ــ إنه موقف عجيب فى الواقع يا عزيزى (نور) ، فلقد حضرت مولد (نشوى) بنفسى ، وكانت بالنسبة لنا جميعًا مجرد طفلة صغيرة طريفة ، حتى مرت بحادثة النمو العجيبة ، فى أعماق المحيط (*) وتحولت فى ليلة وضحاها إلى شابة جميلة ، سرقت قلبى من اللحظة الأولى .

تنهد (نور) ، وقال :

ــ إنه القدر .

بكت (سلوى) فى حرارة ، وهى تقول :

ــ نعم .. القدر الذى يصر على حرمانى من ابنتى دائما .

عانقتها (نشوى) فى حنان متعاطف ، وهو تقول :

ــ لا تقولى هـذا يا أمـاه .. لقد حصلت أنـا و (رمزى) على وظيفـة رائعـة ، فى المستعمرات

(*) راجع قصة (المحيط الملتهب) .. المغامرة رقم (٦٣) .

الجديدة فى (المريخ) (*) ، والعقد يقول : إننا سنحصل على إجازة مقدارها شهر ونصف الشهر كل عام ، وأعدك أن أقضى كل الإجازة هنا بإذن الله .

قالت (سلوى) باكية :

ــ سأشتاق إليك كثيرا .

انتزعت (نشوى) من أعماقها ضحكة قصيرة ، فى محاولة لتهدئة الموقف ، قبل أن تقول فى مرح مصطنع :

ــ وفرى مشاعرك لشقيقى القادم بعد خمسة أشهر ، وأرسلى لى صورته فور مولده ، فأنا أشتاق لرؤيته كثيرا .

ابتسمت (سلوى) مغمغمة :

ــ سأفعل بإذن اللـه ، ولكن الأطباء يصرون هذه المرة على أن أتجنب كل الأعمال العنيفة أو التوترات العصبية ؛ لأن سفرى عبر الكواكب ، فى أثناء فترة الحمل (**) ، أصاب رحمى بضعف ملحوظ .

(*) المريخ : رابع كواكب المجموعة الشمسية بعدا عن الشمس ، لونه أحمر أو برتقالى ، وله تابعان ، هما (ديموس) و (فوبوس) .

(**) راجع قصة (الزمن = صفر) .. المغامرة رقم (١٠٠) .

أحاط (نور) كتفها بذراعه فى حنان وحب . وهو يقول :

ـ سنتجنب كل هذا بإذن الله .

صافحهما (رمزى) و (نشوى) فى حرارة . قبل أن يستقلا الحافلة . التى ستنقلهما إلى حيث ينتظر صاروخ المريخ . وقال (نور) وهو يودعهما :

ـ دعونا نعرف أخباركما باستمرار .

ابتسم (رمزى) . وهو يقول :

ـ اطمئن .

بكت (سلوى) فى حرارة ، والحافلة تبتعد بهما ، وظلت تلوح بيدها ، حتى اختفت فى الأفق ، ثم دفنت وجهها فى صدر (نور) ، وبكت فى حرارة ، قائلة :

ـ لا يمكننى احتمال غيابها .

قادها إلى المنزل فى رفق وحنان ، وهو يقول :

ـ لن نلبث أن نعتاد هذا .. صدقينى .. من رحمة الخالق (عز وجل) بنا ، أن منحنا القدرة على التكيف والاحتمال ، و ..

كان يتحدث فى استطراد وحرارة ، ولكنه بتر عبارته بغتة ، ورفع يده عن كتفها ، وتطلع إلى ساعة معصمه ، مغمغما فى انفعال :

ـ يا إلهى !

خفق قلبها وهى تسأله :

ـ هل ارتفعت درجة حرارة ساعة يدك ؟

قال بسرعة واقتضاب :

ـ نعم .

عاد قلبها يخفق فى عنف . فقد كانت تعلم أن ارتفاع درجة حرارة ساعته مجرد إشارة . تعنى أنهم يستدعونه على وجه السرعة . إلى إدارة المخابرات العلمية ..

وأنه بصدد مهمة جديدة ..

ومغامرة جديدة ..

* * *

« مرحبا يا (نور) .. » .

استقبل القائد الأعلى للمخابرات العلمية (نور) فى مكتبه ، بهذه العبارة القصيرة ، التى اقترنت بابتسامته المرحبة الودود . عندما صافحه ، ودعاه إلى الجلوس إلى جوار الدكتور (ناظم) ، الذى ربت على كتفه . قائلا :

ـ حمدا لله على سلامتك يا (نور) .. إننا لم نلتق . منذ عودتك من (أرغوران) (*) كيف حالك يا رجل .

(*) راجع قصة (الزمن ـ صفر) المغامرة رقم (١٠٠)

أجابه (نور) فى هدوء :

ــ فى خير حال يا سيدى .. حمدا لله .

كان من الواضح أن القائد الأعلى لا يرغب فى إضاعة دقيقة واحدة ، فى عبارات المجاملة والتحية التقليدية . فقد قال مباشرة :

ــ عندى مهمة جديدة لك يا (نور) .

أجابه (نور) على الفور :

ــ أنا رهن إشارتك يا سيدى .

تبادل القائد الأعلى نظرة سريعة مع الدكتور (ناظم) ، قبل أن يقول :

ــ إنها ليست مهمة تقليدية فى الواقع .

ابتسم (نور) وهو يقول :

ــ ومتى كانت المهمات المسندة إلىّ تقليدية يا سيدى ..

أومأ القائد الأعلى برأسه ، مغمغما :

ــ صدقت .

ثم التقط نفسا عميقا ، وأشار إلى الدكتور (ناظم) ، قائلا :

ــ قبل أن نتحدث عن المهمة ، أريد منك أن تستمع من الدكتور (ناظم) إلى خلفية بالغة الأهمية .

التفت (نور) إلى الدكتور (ناظم) ، وقال فى اهتمام :

ــ كلى آذان مصغية .

بدا شىء من التوتر على وجه الدكتور (ناظم) ، وهو يقول :

ــ قل لى يا (نور) .. هل قرأت شيئا حول تجارب هندسة الوراثة ، التى يجريها علماؤنا ، فى مركز الأبحاث الخاص بالإدارة ؟

أجابه (نور) :

ــ بعض الشىء فحسب ، فكل ما أعلمه هو أن هذه التجارب امتداد لسلسلة التجارب التى أجريت فى تسعينات القرن العشرين ، حول إمكانية نقل بعض الصفات الجينية أو الوراثية ، من كائن إلى آخر ، ولقد نجحت هذه التجارب ، فى القرن العشرين ، فى حث بعض أنواع البكتيريا على إفراز الأنسولين البشرى (*) ، والمواد المذيبة للدهون ، مثل أنزيم

(*) الأنسولين : هرمون تفرزه جزر (لانجرهانز) ، وهى مجموعات من الخلايا فى البنكرياس ، يساعد استعمال سكر الدم ، فينبه أكسدته أو اختزانه كنشاء حيوانى (جليكوجين) ، أو دهن فى الكبد ، ويسبب نقصه مرض السكر .

(الليباز) (*) وغيرها . وكان علماؤنا يسعون لنقل بعض الصفات الوراثية الأساسية . من كائنات إلى أخرى ، بهدف تحسين بعض السلالات ، ولكن كانت تواجههم مشكلة عدم توافق جينات بعض الأنواع ، مع أنواع من فصائل أخرى (**) .

قال الدكتور (ناظم) :

– عظيم .. والتجارب التى انهمك فيها علماؤنا ، كانت تبحث المنهج نفسه ، فقد عثروا على وسيلة لدمج جينات بعض المخلوقات بعضها بالبعض ، دون أن تحدث حالة الرفض المعتادة ، بهدف الحصول على أنماط جديدة من المخلوقات ، يمكنها تأدية أعمال خاصة ، أو الإفادة فى عمليات ذات طابع غير نمطى .

هزّ (نور) كتفيه ، وقال :

– ربما كانت لدىّ بعض التحفظات حول الفكرة ، ولكن ..

قاطعه القائد الأعلى فى اهتمام :

– وما تحفظاتك يا (نور) ؟

(*) الليباز : انزيم خاص يفرزه الجسم بصورة طبيعية لإذابة الدهون وبعد تخليقه بهندسة الوراثة ، صار يستخدم فى مساحيق الغسيل لتنظيف الدهون ..

(**) حقيقة علمية

صمت (نور) لحظة ، ثم أجاب :

– إننى أومن بأن الله (سبحانه وتعالى) ، قد خلق كل مخلوقاته بحكمته الواسعة ، ودرايته التامة بشئون خلقه ، ومن العبث أن يسعى البعض لتشويه هذه المخلوقات ، والعبث بصفاتها الوراثية ، متصورًا أنه قادر على صنع مخلوق جديد ، ففى النهاية ، ومهما بلغ العلم من تقدّم ، ومهما بلغ العلماء من براعة ومهارة ، ومهما بلغت التقنية من دقة وتطور ، لن تتحقق إلا بمشيئة الله (سبحانه وتعالى) ، حتى نتجنب كوارث لا قبل لنا بها ..

تبادل القائد الأعلى والدكتور (ناظم) نظرة ثانية ، قبل أن يقول الأخير :

– وجهة نظرك سليمة تمامًا يا (نور) ، ومهمتك هى الدليل العملى على هذا .

تطلّع إليه (نور) فى تساؤل ، فاستطرد :

– لقد نبتت فى رأس أحد علمائنا فكرة عجيبة ، تتصور إمكانية مزيج جينات البشر بجينات بعض الكائنات الأخرى ، مثل الحرباء والخفاش ، وغيرها ، حتى يمكننا أن نجد لدينا فى النهاية بشريًا له صفات

خارقة ، فيستطيع أن يطير مثلا كالخفاش (*) ، أو يتحوّر تبعًا للبيئة المحيطة كالحرباء ، ولقد وجدت هذه الفكرة من يقتنع بها ، ومن يؤيدها ويشجعها ، فتكوّن فريق من العلماء لهذا الغرض ، وانهمكوا لتحقيق الفكرة ، وحصلوا على جينات بشرية ، مزجوها بجينات حرباء ، وجينات خفاش ، باستخدام تقنية عالية التطوّر ، وتحت الميكروسكوب الإليكترونى ، وظلوا يرعون الفكرة ، حتى تكوّن الجنين المخصّب ، وبدأ فى النمو ، فتم زرعه فى رحم اصطناعى ، ليواصل نموه الطبيعى .

ثم زفر فى مرارة ، وتنهّد فى حرارة ، قبل أن يكمل :

ــ ولكن النتيجة كانت مفاجئة للجميع ، فلقد لاحظوا أن الجنين ينمو بسرعة غير عادية ، وعلى نحو يثير القلق ، ثم إن تطوراته الامبريولوجية (*) لم تكن تتوافق مع ما يحدث عند البشر .

(*) الخفاش : حيوان ثديي من رتبة الخفاشيات ، يوجد بالمناطق الحارة والمعتدلة ، وهو الحيوان الثديى الوحيد القادر على الطيران .

(**) الأمبريولوجى : علم تطوّر الأجنّة .

وصمت لحظة ، ليرطّب حلقه الجاف ، قبل أن يستطرد :

ــ وكانت الصدمة عنيفة للجميع ، عندما كشفوا أنهم ، وعلى الرغم من وقتهم وخبراتهم ، لم يحصلوا على بشرى له صفات خارقة ، بل حصلوا على حرباء ذات صفات بشرية .

هتف (نور) منزعجًا :

ــ يا إلهى !.. ما الذى فعله هؤلاء التعساء ؟

قال الدكتور (ناظم) فى أسف :

ــ كانوا يستطيعون إنهاء التجربة على الفور ، ولكن فضولهم العلمى دفعهم لاستكمالها ، فى محاولة لدراسة النتائج ، والبحث عن أسباب الخطأ ، فتركوا الجنين ينمو ، حتى بعد خروجه من الرحم الاصطناعى ، وراقبوا نموه وتطوراته فى شغف واهتمام بالغين .

وصمت لحظة ، ثم أشار بيده ، مستطردًا :

ــ أعتقد أنه من الأفضل أن ننتقل لمرحلة عرض ما سجلته آلات العلماء ، فهذا يعطيك فكرة أكثر وضوحًا .

وبإشارة من يده ، انطفأت أضواء الحجرة ، وهبط جسم مربع من منتصف السقف تمامًا ، وسقط عليه

شعاع من الليزر ، وبدأ عرض الفيلم المجسّم . الذى صوّره العلماء ، فى أثناء متابعتهم لنمو ذلك المخلوق ..

واتسعت عينا (نور) فى دهشة بالغة ، فقد كان ما يراه أمامه مذهلا ..

مذهلا بحق .

* * *

٣ – من وجه إلى وجه ..

لم يصدق (نور) عينيه للوهلة الأولى ..

كان ذلك الكائن ، الذى يتحرك على الشاشة المجسّمة أمامه ، أشبه بسحلية ضخمة (*) ، أو بديناصور صغير ، من نوع (التيرانوساورس ركس) (**) ، ولكنه أكثر اعتدالا ، وأكثر اعتمادا على قائمتيه الخلفيتين ، بحيث يسير منتصبا كرجل عادى ، بنفس قوامه وقامته ، مع وجود ذيل سميك قصير فى مؤخرة عموده الفقرى ..

ولم يكن هذا الشكل هو مبعث دهشة (نور) البالغة ..

وإنما كانت قدرات ذلك الكائن ..

كان يراقب العلماء من داخل قفصه الزجاجى فى

(*) السحلية : حيوان زاحف ، يوجد فى المناطق الحارة والمعتدلة ، لمعظم أنواعها أربعة أطراف وجسمها مغطى بالحراشيف ، ومعظمها آكلة حشرات .

(**) التيرانوساورس ركس : أحد أخطر أنواع الديناصورات ، وأكثرها وحشية وشراسة ، وهوجم لنشاط ، اكل لحوم وسريع الحركة ، ومشكلته أنه ضعيف البصر ، ويعتمد على حاسة السمع تماما

انتباه واهتمام ، وكأنه هو الذى يقوم بدراستهم ، وليس العكس ..

ثم إنه كان يمتلك تلك الخاصية المدهشة ..

كان يتطلع إلى أحدهم لحظات ، ثم ترتج خلاياه وتهتز ، ويتحول تدريجيًا إلى صورة طبق الأصل منه ، وقبل أن يفيق العلماء من دهشتهم ، يكون قد انتقل من هذه الهيئة إلى هيئة عالم آخر ، وآخر ، وآخر ..

كان ينتقل من وجه إلى وجه بسرعة مدهشة ، وبمقدرة لا مثيل لها ، بين كل الكائنات المعروفة ، فى علم الأحياء ..

وبحروف حملت كل دهشته وانبهاره ، هتف (نور) :

ـ كيف يفعل هذا ؟

أجابه الدكتور (ناظم) :

ـ لا أحد يدرى كيف اكتسبت خلاياه هذه المرونة المدهشة ، والقدرة المذهلة على التغير والتحول ، ولكن بعض العلماء يفترضون أن خلايا الحرباء ، التى تدخل فى تكوينه ، قد اكتسبت مع اختلاطها بالخلايا البشرية، تلك الخاصية ، التى لا مثيل لها ، بحيث صارت قادرة على التشكل والتلون ، بهذه الصورة الفذة .

قال (نور) :

ـ يستطيع العلماء أن يحصلوا على عينة من خلاياه ، ويقوموا بدراستها أو ..

قاطعه الدكتور (ناظم) :

ـ لقد فعلوا هذا أكثر من مرة ، ولكن العجيب أن هذه الخلايا تفقد خاصيتها تماما ، عندما تنتزع من جسد ذلك الكائن ، وتتحول إلى خلايا شبه ميتة ، يستحيل فحصها أو دراسة سلوكها .

صمت (نور) لحظة ، وهو يقول :

ـ مازلت لا أفهم دورى فى هذه القضية .

قال القائد الأعلى مباشرة :

ـ لقد هرب ذلك الكائن يا (نور) .

التفت إليه (نور) فى حركة سريعة ، هاتفا فى دهشة :

ـ هرب ؟!

ثم اكتست دهشته بحيرة لا حدود لها ، مع استطرادته :

ـ وكيف أمكنه هذا ؟! .. المفروض أن مركز الأبحاث منطقة أمنية جيدة ، ومن العسير أن يدخل أو يخرج أى شخص منها ، دون أن يمر بثلاثة نطاقات من الأمن على الأقل .

مط القائد الأعلى شفتيه ، وتنهد دون أن ينطق بحرف واحد ، فى حين قال الدكتور (ناظم) فى توتر :

ـ هذا صحيح يا (نور) . ولكن ذلك الكائن نجح فى الفرار . على الرغم من كل نظم الأمن . ووسائل الحماية . وهذا لأنه استفاد جيدا من الخلايا البشرية فى تركيبه الجينى .

سأله (نور) فى حذر :

ـ أى نوع من الاستفادة ؟

أشار الدكتور (ناظم) إلى رأسه . وهو يجيب :

ـ الذكاء .

كان الجواب مقتضبا للغاية . ولكنه جعل وجه (نور) يمتقع . وهو يردد :

ـ الذكاء ؟!.. أتعنى أن هذا الشىء يمتلك ذكاء بشريا ؟!

قال الدكتور (ناظم) فى سرعة :

ـ ليس هذا فحسب يا (نور) . ولكن درجة الذكاء . التى يتمتع بها هذا الكائن . تفوق بكثير تلك الدرجة المتوسطة بين البشر .

هتف (نور) فى ارتياع :

ـ رباه !.. إنها كارثة .

زفر القائد الأعلى فى توتر . قبل أن يقول :

ـ إنها ليست الكارثة الوحيدة يا (نور) .

التفت إليه (نور) متسائلا . فالتفت القائد الأعلى إلى الدكتور (ناظم) . وأشار إليه . قائلا :

ـ اعرض الفيلم الأخير .

ضغط الدكتور (ناظم) زر العرض . فتطلع (نور) إلى الشاشة المجسمة فى اهتمام . ورأى ذلك الكائن . داخل قفصه الزجاجى . والعلماء يدفعون إليه كلبا صغيرا . ورأى ذلك الكائن يتطلع إلى الكلب فى فضول . ثم يتجه إليه فى هدوء . و..

وفجأة . ينقض عليه فى عنف . وينشب فيه مخالبه . ثم يمزقه إربا فى وحشية مخيفة . ويبدأ فى التهامه بسرعة ..

وبكل الثورة فى أعماقه . هتف (نور) :

ـ سيدى .. هذا يعنى أن ذلك الكائن ..

قاطعه الدكتور (ناظم) :

ـ مفترس .. نعم يا (نور) .. إنها مأساة أخرى . تشترك مع كل ما رأيته . لتصنع تلك الكارثة التى نواجهها .. كائن مخيف . مفترس . يمتلك ذكاء بشريا متفوقا . وقدرة مدهشة على التحور والتلون . يسير حرا طليقا . فى قلب المدينة . دون أن نمتلك وسيلة للعثور عليه . أو الإيقاع به .

وفجأة ، ينقض عليه في عنف ، وينشب فيه مخالبه ، ثم يمزقه إربًا في وحشية مخيفة ..

قال (نور) في توتر :

ـ ولكن هذا بالغ الخطورة يا سيدى . وكان من المفروض أن ينطلق خلفه فريق خاص لاصطياده :

قال القائد الأعلى :

ـ هذا ما حدث بالفعل يا (نور) .. لقد أسندنا هذه المهمة للرائد (أيمن) وفريقه . ولقد تمكنوا من العثور عليه بالفعل ، في أطلال (القاهرة) القديمة ، وكانت مواجهة عنيفة بينهم وبينه .. مواجهة انتهت بمصرع خبير الطاقة وخبير الاتصالات ، وإصابة الرائد (أيمن) بجروح بالغة الخطورة ، في صدره وعنقه وذراعه ، اقتضت إجراء ست جراحات كبرى له ، ووضعه تحت إشراف كامل ، في حجرة العناية المركزة ، أما الخبيرة البيولوجية (هناء حماد) ، فقد أصيبت بانهيار عصبي عنيف ، ما زالت تعالج منه حتى هذه اللحظة .

تمتم (نور) في رهبة :

ـ يا للبشاعة !.. من الواضح أن مواجهة ذلك الكائن ليست هينة أبدًا .

قال الدكتور (ناظم) :

ـ هذا صحيح يا (نور) فمواجهة شيء كهذا ،

تحتاج إلى خبرة خاصة . لم تكن متوفرة لدى (أيمن) وفريقه .. خبرة لا يمتلكها سوى ..

وصمت لحظة . قبل أن يضيف فى حزم :

ـ سوى شخص مثلك يا (نور) .

كان (نور) يتوقع هذا التكليف . وعلى الرغم من هذا . فقد شعر بشىء من القلق . وهو يتمتم :

ـ هل تطالبنى بتكوين فريق آخر يا سيدى ؟

تبادل القائد الأعلى نظرة سريعة مع الدكتور (ناظم) . ثم قال فى حسم :

ـ لقد درسنا هذا الاحتمال يا (نور) . ولكننا وجدنا أن تكوين فريق جديد يضعنا أمام المشكلة نفسها . ألا وهى ضعف ونقص الخبرات اللازمة . وخبراؤنا يرون أن عملك مع فريق تنقصه الخبرة . قد يؤدى إلى فشل المهمة تماما . وأنه من الأفضل أن تعمل وحدك . أو بصحبة زميل واحد على الأكثر .

عقد (نور) حاجبيه . وهو يتساءل فى حيرة :

ـ زميل واحد ؟! .. ومن هذا الزميل . الذى يمكنه العمل إلى جوارى . دون معرفة سابقة .

مط القائد الأعلى شفتيه فى صمت . فى حين تنهد الدكتور (ناظم) . وقال :

ـ إنه يعرفك جيدا يا (نور) . وأنت أيضا تعرفه . وأرجو أن تتعاونا معا جيدا . وتتجاهلا كل أوجه الخلاف . و ...

قاطعه (نور) فى مزيج من الدهشة والقلق والحذر :

ـ سيدى ؟!.. من هذا الشخص بالضبط ؟

صمت الدكتور (ناظم) لحظة . ثم ألقى الجواب فى وجه (نور) . الذى اتسعت عيناه فى دهشة . فقد كان اسم هذا الشخص مفاجأة بالنسبة إليه ..

مفاجأة عجيبة ..

* * *

« مستحيل !.. هل تعنى ما تقول يا (أكرم) ؟!.. » .

هتفت (مشيرة محفوظ) بالعبارة فى مزيج من الدهشة والفرح . قبل أن تقفز لتعانق زوجها (أكرم) . وهى تصيح فى سعادة . مستطردة :

ـ لست أصدق هذا .. هل قبلوك أخيرا فى صفوف المخابرات العلمية ؟

هز (أكرم) كتفيه . وهو يقول مبتسما :

ـ هذا يدهشنى بأكثر مما يدهشك يا عزيزتى . فقد تقدمت بطلب الالتحاق هذا منذ فترة طويلة .. حتى قبل

أن نسافر خلسة . أنت وأنا . مع (نور) وفريقه إلى (أرغوران) (*) . وعندما تجاهلونى تماما فى المرة الأولى . ورفض (نور) فكرة انضمامى . فى المرة الثانية (**) . تصورت أننى لن ألتحق بذلك العمل أبدا . ولهذا قبلت العمل معك فى (أنباء الفيديو) .

تراجعت لتلكمه فى صدره برفق ، قائلة :

— يا لسخافتك !.. هل تعنى أنك لم تكن تحب عملك معى ؟

ضحك ، وهو يضمها إليه ، قائلا :

— إننى أحب كل مكان يجمعنا معا ، ولكن .. لم أشعر قط أن هذا هو العمل الذى يناسبنى .

قالت مبتسمة فى حنان :

— أنا واثقة من أن عمل المخابرات سيناسبك كثيرا .

ضحك مرة أخرى ، وهو يقول :

(*) راجع قصة (لهيب الكواكب) .. المغامرة رقم (٩٧)

(**) راجع قصة (الزهرة السوداء) .. سلسلة الأعداد الخاصة . رقم (٥)

— لن أشعر بالحيرة وأنا أمارسه على الأقل ، فمنذ التقيت بـ (نور) ، فى فترة ما بعد الاحتلال (*) ، وأنا غارق فى هذا العالم حتى أذنىّ .

لوحت بيدها قائلة :

— الآن أصبحت تعيش فيه بصفة رسمية . ويوما ما ستصبح أحد أفراد فريق خاص ، مثل فريق (نور) ، و..

قاطعها صوت (نور) ، وهو يقول :

— ولم الانتظار .. يمكنه أن يبدأ هذا على الفور .

التفتا إليه فى حركة سريعة ، وهتفت (مشيرة) :

— (نور) .. لقد أفزعتنى .

أما (أكرم) فقال فى شىء من الخشونة :

— المفروض أن تطرق الباب أولا :

أجابه (نور) فى هدوء :

— كان الباب مفتوحا ، ثم إن السكرتيرة سمحت لى بالدخول على الفور .

هتفت (مشيرة) فى سعادة :

— (نور) .. هل تعلم أنهم قبلوا انضمام (أكرم) إلى المخابرات العلمية ؟

(*) راجع قصة (رمز القوة) .. المغامرة رقم (٨١)

أجابها (نور) :

ـ أعلم هذا :

قال (أكرم) متحديا :

ـ لا تقل لى : إنك الشخص الذى سعى إلى هذا .

هز (نور) رأسه نفيا . وهو يقول :

ـ كـلا .. لست الشخص الذى سعى لهذا .. وما كنت لأسعى إليه قط . ولكنهم أخبرونى بالأمر منذ ساعة واحدة .

ابتسم (أكرم) ، وهو يقول :

ـ عظيـم .. إننا زميلان إذن .. قل لى يا سيادة المقدَم : ألن يحنقك أن تجدنى يومًا رفيقك ، فى واحدة من عملياتك الخاصة ؟

هزَ (نور) كتفيه ، وقال :

ـ يمكننا أن نختبر هذا على الفور .

عقد (أكرم) حاجبيه ، وهو يسأله فى حذر :

ـ ماذا تعنى ؟

ارتسمت ابتسامة باهتة على شفتى (نور) ، وهو يقول :

ـ أعنى أنـك ، ومنـذ هـذه اللحظـة ، زميلى فى مهمتنا الجديدة يا (أكرم) .

تهللت أسارير (مشيرة) فى فرح . وانعقد حاجبا (أكرم) فى شدة ، فى حين تلاشت ابتسامة (نـور) الباهتة ، وهو يستطرد :

ـ زميلى برغم أنفى .

* * *

عقد (أكرم) ساعديه أمام صدره . وهو يجلس صامتـا فى سيارة (نـور) ، التى تنطلق بهما عبر شوارع (القاهرة الجديدة) ، ثم لـم يلبث أن قال فى حدة :

ـ هذا ليس عدلا .. الجميع يعلمون أننا يختلف بعضنا عن البعض ، تمام الاختلاف ، فلماذا يسندون إلينا مهمة مشتركة ؟!

أجابه (نور) فى هدوء :

ـ لقد تقدَمت بالاحتجاج نفسه ، ولكـن خبـراء الإدارة أصرَوا على رأيهم ، من أننا نصلح جيدا للعمل مع بعضنا ، على الرغم من اختلافاتنا الجوهرية ، بل ويؤكد بعضهم أن كلا منا يكمل الآخر تماما ، على الرغم من ميلك للعنف ، وأساليبك البدائية ، و ..

قاطعه (أكرم) فى عصبية :

ـ بل قل : على الرغـم مـن غرورك ، ومثالياتك السخيفة ، و ..

قاطعه (نور) هذه المرة فى حزم :
ـ لن نتبادل الاتهامات الآن .
صاح به (أكرم) :
ـ أنت بدأت هذا .
قال (نور) فى شىء من التوتر :
ـ فليكن .. لو أننى بدأت هذا ، فأنا أعتذر .. إننا نعمل الآن فى فريق واحد ، والمفروض أن ندفن كل اختلافاتنا ، ونركز جهودنا على مهمتنا ، فالعثور على ذلك الكائن لن يكون سهلاً أبدًا :
قال (أكرم) فى سخرية :
ـ وماذا سنفعل ، عندما نوقع به ؟.. هل سنلقى عليه محاضرة حول الأساليب السلمية فى التعايش ، وحقوق الإنسان ، وبشاعة إراقة الدماء ؟
ضغط (نور) على أعصابه ، ليهضم هذه اللكنة الساخرة ، وأجاب :
ـ لست أعتقد هذا .. وربما كان ذلك هو السبب الرئيسى ، فى اختيارك لمثل هذه المهمة ، فمصير ذلك الكائن كان موضع دراسة الخبراء أيضا ، وعلى الرغم من أن العلماء يرغبون بشدة فى استعادته حيًا ، لاستكمال تجاربهم عليه ، باعتباره نمطا جديدا

للكائنات ، إلا أن الأوامر لدينا تحتم التخلص منه فور العثور عليه ، وتدميره تماما ، بلا أدنى تردد .
تنهَّد (أكرم) فى ارتياح ، قبل أن يغمغم :
ـ هذا هو الإجراء الطبيعى .. لا ينبغى أن يتردد المرء لحظة واحدة ، فى القضاء على الجرثومة ، التى تفتك به .
قال (نور) فى صوت خافت :
ـ المهم أن نعثر عليه أولًا .
سأله (أكرم) فى اهتمام :
ـ ألديك طرف خيط ، يمكن أن يقودنا إليه ؟
هزَّ (نور) رأسه نفيًا ، وقال :
ـ ليس بعد ، ولكننا فى طريقنا للبحث عن طرف الخيط هذا .
سأله فى اهتمام :
ـ كيف ؟
أجاب (نور) :
ـ هناك جهتان ، تعلمان عن ذلك الكائن أكثر مما نعلمه بكثير ، وهما مركز الأبحاث الذى أنتجه ، والخبيرة البيولوجية التى واجهته ، وبقيت واعية ، وعلى قيد الحياة ، وسنبدأ بمركز الأبحاث .
مط (أكرم) شفتيه ، وقال :

ـ لو أننى فى موضعك ، لبدأت بالخبيرة البيولوجية .
سأله (نور) فى دهشة :
ـ لماذا ؟
اعتدل (أكرم) ، وهو يجيب فى حماس واضح :
ـ من الواضح ، طبقًا لما تصف به ذلك الكائن ، أنه صورة متطورة من أى سفاح تقليدى ، ونظرًا لذكائه المتفوق ، سيدرك على الفور أن الخبيرة البيولوجية تعلم الكثير عنه ، وأن الحصول على طرف خيط ، يمكن أن يقود إليه ، يبدأ منها ، وكأى مجرم تقليدى ، سيحاول استغلال كل قدراته المدهشة للوصول إليها ، والتخلص منها .
هتف (نور) :
ـ رباه !.. إنه استنتاج رائع يا (أكرم) .. كيف توصلت إليه ؟
هز (أكرم) كتفيه ، وابتسم قائلا :
ـ يمكنك أن تقول : إننى أفهم طبيعة المجرمين جيدا .
أدار (نور) سيارته فى سرعة ، وهو يهتف :
ـ بل تفهمها على نحو ممتاز .. أنت على حق .. سننطلق فورا إلى حيث تعالج الخبيرة البيولوجية ،

وكل ما أتمناه هو أن نصل إليها ، فنجدها على قيد الحياة .
ـ نعم يا (نور) .. هذا هو المهم .. أن تجدها على قيد الحياة ..

* * *

تنهد الدكتور (سالم) ، الطبيب المعالج للخبيرة البيولوجية ، فى عمق ، وحاول أن يرسم على شفتيه ابتسامة هادئة ودود ، وهو يواجهها ، قائلا :
ـ أعتقد أنك أفضل حالا الآن يا آنستى .. هل تشعرين بأنك قادرة على النوم ؟
أجابته (هناء) فى إرهاق :
ـ لو أننى استطعت نسيان ذلك الوجه البشع ، فربما استغرقت فى نوم عميق .
سألها مشفقا :
ـ أما زال ذلك الأمر يفزعك كثيرًا ؟
لوّحت بيدها ، قائلة فى توتر :
ـ بل أكثر مما يمكنك تصوره يا دكتور (سالم) .. إننى أتصوّر فى كل لحظة أن ذلك الكائن سيهاجمنى هنا .. صدقنى .. كل وجه يدلف إلى حجرتى ، يدفعنى للتطلع إلى عينيه ، خشية أن يكون ذلك الوحش المتحور .

قال الدكتور (سالم) فى توتر :

ـ ولكنه لن يستطيع خداعنا جميعا .

هتفت :

ـ بل يستطيع .. إنك لم تر كيف كان ينتحل شخصية الرائد (أيمن) !.. حتى أمه لم تكن لتشك فى أمره لولا العينين .

سألها الدكتور (سالم) فى اهتمام :

ـ ماذا عن العينين ؟

أجابته بحروف مرتجفة ، لم يزايلها الرعب بعد :

ـ عينان رهيبتان ، مشقوقتان طوليًا كأعين الثعابين ، وتتطلعان إليك فى وحشية ، و..

قاطعتها طرقات على باب الحجرة ، فاستدارت إلى الباب فى هلع ، ورأت أحد الممرضين ، وهو يحمل عددًا كبيرًا من لفات القطن والشاش ، تكاد تخفى جسده كله ، فأشار إليه الدكتور (سالم) قائلا فى لهفة :

ـ ضع كل شىء هنا ، وانصرف .

ثم التفت إليها ، مستطردًا :

ـ وماذا يا آنستى ؟

ولكنه رأى وجهها الممتقع كوجوه الموتى ، وعينيها

المتسعتين فى رعب هائل ، فاستدار بسرعة إلى الممرض . وانتفض جسده كله فى هلع . وهو يحدق فى عينيه المشقوقتين طوليا ، و ..

وأطلقت (هناء) صرخة رعب هائلة ..

وقفزت المخالب القاتلة .

* * *

٤ ـ المواجهة الأولى ..

كان (نور) يندفع بسيارته عبر بوابة المستشفى ، عندما انطلقت صرخة (هناء) ، وجلجلت فى المكان كله ، فصاح (أكرم) ، وهو ينتزع مسدسه البدائى :

ـ من الواضح أننى كنت على حق .

ووثب من السيارة ، قبل حتى أن يوقفها (نور) ، وانطلق يعدو داخل المستشفى ، واقتحم بوابتها الداخلية ، وهو يهتف :

ـ أمن دولة .. افسحوا الطريق .

كان هناك مصعد يقود إلى الطابق الثالث ، حيث حجرة (هناء) ، ولكنه تجاهله تماما ، ووثب عبر درجات سلم الطوارئ بسرعة مدهشة ، حتى بلغ الطابق ، ورأى عددا من الأطباء والممرضين ورجال الأمن ، يحاولون فتح باب الحجرة ، فصاح بهم :

ـ ابتعدوا .

لمحوا ذلك المسدس الذى يحمله ، فتراجعوا مذعورين ، على الرغم من أن صرخات (هناء) ما زالت تنبعث من الحجرة ، حاملة كل رعبها وذعرها

وانهيارها ، فصوب (أكرم) مسدسه إلى رتاج الحجرة ، وأطلق رصاصاته .

وكان دوى الرصاصات عجيبا فى المستشفى ..

ولكن الرتاج انهار تحت قوتها ..

واندفع (أكرم) داخل حجرة الخبيرة البيولوجية ..

وللوهلة الأولى وقع بصره على جثة الدكتور (سالم) ..

كان من الواضح أن الرجل قد قاوم ذلك الكائن بأقصى قوته ، وحاول منعه من بلوغ فراش (هناء) ، قبل أن يتمزق جسده ، تحت تأثير المخالب القوية ، والأنياب الحادة ، التى حولته إلى كومة ممزقة من الأشلاء والعظام .

ولكن ذلك الوحش لم يكن هناك ..

وعلى الرغم من هذا ، كانت (هناء) تواصل صراخها وتلويحها بذراعيها ، فقال لها (أكرم) ، محاولا تهدئتها :

ـ رويدك يا آنستى .. لقد انتهى كل شىء ..

صرخت ، مشيرة إلى شىء ما خلفه :

ـ لا .. لم ينته .. لم ينته بعد .

استدار بسرعة إلى حيث تشير ، وسمع صرخات

الرعب ، التى انطلقت من حلوق الواقفين عند الباب ، وهو يحدق فى أعجب مشهد رآه فى حياته كلها ..

كانت المنضدة التى أمامه تستطيل وتتموج ، وتفقد شكلها النمطى ، ليبرز منها رأس مخيف ، أشبه برأس سحلية ضخمة ، ويد ذات مخالب حادة ، ضربت المسدس من يده فى عنف ، فألقت به أسفل فراش (هناء) .

وفى لحظات معدودة ، كان الوحش ينتصب أمامه بهيئته المخيفة ..

وتراجع (أكرم) بحركة غريزية ، وهو يحدق فى هذا الكائن الرهيب ، فى حين استلّ أحد رجال الأمن مسدسه ، وصاح :

ــ ابتعد أيها السيد .. سأقتله .

كان الرجل شجاعًا ، يجيد إصابة الهدف ، إلا أن الكائن المخيف انضغط بغتة ، وكأنما تحول فى لحظة واحدة إلى مخلوق ذى بعدين (*) ، فلم يعد الرجل يرى منه إلا شريطًا رفيعًا ، تستحيل إصابته تقريبًا ..

(*) كل الأجسام المعروفة فى عالمنا ذات ثلاثة أبعاد ، وهى الطول والعرض والارتفاع ، أو السمك ، أما ما يقصد بالمخلوق ذى البعدين ، فهو أن يكون له طول وعرض فحسب ، ولكن بلا سمك أو ارتفاع .

وهكذا طاش شعاعا الليزر ، اللذان أطلقهما رجل الأمن ، ولم ينجحا فى إصابة هدفهما ، فى حين أطلق المخلوق فحيحه المخيف ، الذى زلزل قلوب الموجودين ، فانطلقوا يعدون مبتعدين عن المكان ، فصاح (أكرم) ، وهو يقفز محاولا استعادة مسدسه :

ــ فليكن أيها الوغد .. سنرى ما يمكننى فعله ، فى المحاولة الثانية .

وفى نفس اللحظة ، وصل (نور) ، وهو يهتف :

ــ انتهى الأمر أيها (الحرباء) .. المكان كله محاصر ، ولن يمكنك الفرار قط .

ولكن الكائن اندفع نحو النافذة ، ووثب إليها فى قوة ، فاخترق زجاجها بدوى عنيف ، وعبرها بجسده المخيف ، فهتف (أكرم) فى دهشة :

ــ ماذا أصابه ؟!.. هل ينتحر ؟

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى اتسعت العيون كلها فى ذهول ، عندما برز من جانبى الكائن جناحان هائلان ، أشبه بجناحى خفاش ضخم ، وانطلق يحلق مبتعدًا ..

ولثوان ، جمد كل شخص فى مكانه ، ثم انتزع (أكرم) نفسه من دهشته وذهوله ، واندفع نحو النافذة ، صارخًا فى غضب :

لم يكد يتم عبارته ، حتى اتسعت العيون كلها فى ذهول ، عندما برز من جانبى الكائن جناحان هائلان ..

ـ لن تبتعد أيها الوغد .

وأطلق رصاصاته خلف الكائن ، الذى ابتعد كثيرا ، حتى صار مجرد نقطة داكنة فى الأفق ، فانقض (نور) على (أكرم) ، وصاح به فى غضب :

ـ توقف يا رجل .. إنك تثير مزيدا من الفزع هنا .

عض (أكرم) شفتيه فى غضب ، وهو يتطلع إلى حيث اختفى الكائن ، وقال فى حنق وسخط واضحين :

ـ كان بين أيدينا ، ولكننا لم نظفر به .

ربت (نور) على كتفه ، قائلا :

ـ هذا لا يعنى أننا فشلنا يا صديقى .

ثم أشار إلى (هناء) الشاحبة الوجه ، مستطردا :

ـ لقد أنقذناها على الأقل .

وكان على حق ..

صحيح أنهم لم يظفروا بالوحش هذه المرة ، ولكنهم نجحوا فى حرمانه من فريسته ..

وأية فريسة !! ..

* * *

على الرغم من مرور نصف ساعة كاملة على هذه الأحداث ، إلا أن جسد (هناء) لم يكن قد توقف عن الارتجاف بعد ، و(نور) يناولها قدحا من الشاى ، قائلا فى لهجة ودود :

ـ صدقينى أيتها الزميلة .. لقد انتهى الأمر هذه المرة .. لن ينجح ذلك الوحش فى الوصول إليك ، بعد الإجراءات الصارمة التى اتخذناها للتأمين والحماية .

تناولت قدح الشاى ، وارتشفت منه رشفة ، سرى معها الدفء فى أوصالها ، قبل أن تقول بصوت مضطرب :

ـ لم أشعر بمثل هذا الرعب فى حياتى قط .. لقد كان ذلك الشىء قاب قوسين أو أدنى من افتراسى .. لقد شاهدت أنيابه تتجه نحوى ، و .. ، و

لم تستطع إتمام عبارتها ، فهزّت رأسها ، مضيفة :

ـ إنه شىء فظيع .. فظيع .

ظلّ (أكرم) صامتًا ، فى حين قال (نور) :

ـ من الواضح أن ذلك الوحش بالغ الذكاء ، وأنه يدرك جيدًا مدى الخطر ، الذى يمثله وجودك ، فأنت أكثر من اقترب منه ، كما أنك خبيرة بيولوجية ، ويمكنك فهم الكثير من سلوكه .

قالت ، وهى ترتشف رشفة أخرى من الشاى :

ـ هذا ليس بالأمر السهل .

غادر (أكرم) صمته ، وهو يسألها :

ـ ماذا تعنين ؟

هزّت كتفيها ، قبل أن تجيب :

ـ المفروض أننى متخصصة فى دراسة سلوك الحيوانات والطيور ، وعلى الرغم من هذا فلم أستطع استنتاج النمط السلوكى الكامل لذلك الشىء .

قال (أكرم) ، فى شىء من العصبية :

ـ أتعنين أنك فشلت فى هذا ؟

هتفت فى حدة :

ـ كلا بالطبع .

ثم تضرّج وجهها بحمرة الخجل ، وبدا وكأنها استحت بغتة من حدتها ، فقد انخفض صوتها ، وهى تتابع :

ـ وإلا فكيف أمكننا التوصل إلى مكانه فى الأطلال القديمة ؟

بدا مزيج من الحيرة والتوتر على وجه (أكرم) ، وكأنما لم يفهم ما تعنيه ، فى حين سألها (نور) فى اهتمام واضح :

ـ هل يمكنك شرح الأمر لنا فى وضوح ؟

أومأت برأسها إيجابًا ، وقالت :

ـ ذلك الكائن لا يندرج تحت أية فصيلة معروفة ، من فصائل الحيوانات أو الطيور ، أو حتى الزواحف ،

فهو مزيج من كل هذا .. مزيج فى جيناته ، وصفاته الوراثية ، وسلوكياته أيضا ، وفى البداية ، حاولنا أن نتعامل معه باستخدام أنماط السلوك البشرية ، على أساس أن تركيبته الجينية الرئيسية بشرية ، مفترضين أن الجينات الأخرى تختص بقدراته فحسب ، وليس بنمطه السلوكى ، ولكن هذا الأسلوب فشل تماما ، ولم يوصلنا إلى نتائج مقبولة ، وهنا رحت أسعى للبحث عن الجينات التى تحكم سلوكه ، وبدراسة سلوك الحرباء والخفاش ، أمكننى استنتاج أنه سيميل إلى الاختباء فى الأماكن المظلمة المهجورة ، وهكذا ذهبنا إلى الأطلال القديمة ، ولمحناه هناك ، فتعقبناه ، و..

لم تستطيع إتمام حديثها ، مع تلك الارتجافة التى سرت فى جسدها وصوتها ، فبترت عبارتها ، وخفضت عينيها ، والتقطت نفسا عميقا ، لترطب مشاعرها الملتهبة ، قبل أن تقول :

ـ وكان ما كان .

ران الصمت لحظات على الحجرة ، قبل أن يتمتم (أكرم) ، فى لهجة تشف عن عدم رضا :

ـ لقد توصلتم إلى شىء ما على الأقل .

أجابته فى سرعة :

ـ كان هذا فى البداية فحسب :

تطلع إليها (نور) فى تساؤل ، فتابعت مرتبكة :

ـ وفى الوقت الذى كان فيه ذلك الشىء يفتك بزملائى ، كنت أسعى لاستنباط نمطه السلوكى الحقيقى ، عن طريق مزج الأنماط السلوكية لكل الجينات الداخلة فى تكوينه ، حتى توصلت إلى طرف الخيط ، قبل أن يهاجمنى بلحظات معدودة .

قال (نور) بلهجة ملؤها التساؤل :

ـ طرف الخيط ؟!

أومأت برأسها إيجابا ، وقالت :

ـ نعم .. أمسكت طرف الخيط ، فذلك الشىء يجمع فى سلوكياته ما بين الأداء البشرى المدروس والغريزة الحيوانية المفترسة ، ويمزج النمطين على نحو عجيب ، بحيث يمكننى الجزم بأن ذكاءه يتجاوز بالفعل مستوى الذكاء المتوسط .

قال (أكرم) فى سخرية عصبية :

ـ إذن فنحن نواجه وحشا عبقريا .

كان يتوقع أن تستفزها عبارته ، ولكنها ـ على العكس ـ بقيت هادئة ، وهى تجيب :

ـ ليت الأمر اقتصر على هذا ، ولكن المشكلة الحقيقية هى أن ذلك الكائن لم يكتف ببلوغ مرحلة العبقرية ، وإنما تجاوزها إلى تلك المنطقة الوعرة ، التى تفصلها عن العبقرية شعرة واحدة ، كما يقول الفلاسفة .

لم يفهم (أكرم) عبارتها بالضبط ، فى حين اتسعت عينا (نور) فى ارتياع شديد ، وهو يهتف :

ـ رباه ! هل تقصدين أن ذلك الشىء ..

قبل أن يتم عبارته ، كانت تجيب متوترة :

ـ مجنون .. نعم يا سيادة المقدم .. هذا الشىء مجنون .

انعقد حاجبا (أكرم) فى شدة ، ووثب من مقعده ، هاتفا :

ـ مجنون ! .. ياللهول !.. ألا تكفينا وحشيته ؟

أجابته (هناء) فى توتر ملحوظ :

ـ وحشيته هذه هى الصورة الملموسة لجنونه يا أستاذ (أكرم) ، ولن يمكنه قط السيطرة على شهوة إراقة الدماء فى أعماقه ، لأن جينات الخفاش ، التى تدخل فى تركيبه ، مأخوذة من فصيلة الخفافيش الماصة للدماء .

بدا الغضب على وجه (نور) وهو يقول :

ـ ياللسخافة !.. ماذا أصاب هؤلاء العلماء ؟!.. كيف بلغ بهم العبث هذا الحد ؟ .. هل كانوا يسعون لإنتاج وحش رهيب أم ماذا ؟!

قال (أكرم) ، محاولا تهدئة (نور) :

ـ من الواضح أنهم لم يحاولوا هذا يا (نور) ، فأنت تعلم أن الأمر كله مجرد خطأ علمى ، و ..

قاطعته (هناء) هاتفة فى دهشة :

ـ خطأ علمى ؟!

التفت إليها (نور) فى سرعة ، وامتزج حاجباه ، وهو يتطلع إلى ملامحها فى اهتمام وتساؤل ، فى حين تابع (أكرم) :

ـ نعم يا سيدى ، فقد كان من المفروض أن يسعى العلماء لإنتاج بشرى خارق ، و ..

قاطعه (نور) هذه المرة فى حزم عجيب :

ـ لحظة يا (أكرم) :

تطلع إليه (أكرم) فى دهشة ، لم تلبث أن امتزجت دهشته بشىء من الغضب ، وكأنما أحنقه أن يقاطعه (نور) على هذا النحو ، فى حين لم يبد على الأخير أنه لاحظ شيئا من هذا ، وهو يسأل (هناء) فى اهتمام عجيب :

ـ لماذا أدهشك الأمر على هذا النحو ؟

سألته مرتبكة :

ـ أى أمر ؟

قال فى حزم :

ـ أمر الخطأ العلمى ، الذى أدى إلى إنتاج مثل هذا الوحش .

ارتبكت لحظة ، وهى تغمغم :

ـ الواقع أنه .. فى الحقيقة ..

بدا الغضب على وجه (نور) ، وهو يقول :

ـ دعينا نتوقف عند هذه النقطة بالتحديد .. نعم .. أريد الحقيقة .

صمتت لحظة ، وكأنها تشاور عقلها ، ثم لم تلبث أن هزت كتفيها ، قائلة :

ـ الحقيقة أنه من المفروض ألا يحدث مثل هذا الخطأ .

بدت الدهشة على وجه (أكرم) ، فى حين سألها (نور) ، فى صوت امتزج حزمه بلهفته :

ـ ألا يمكنك تفسير الأمر على نحو علمى ؟

هزت كتفيها مرة أخرى ، وقالت :

ـ بالتأكيد ، فحتى فى تسعينات القرن العشرين ،

لم يكن من الممكن الوقوع فى مثل هذا الخطأ ، حتى ولو أسندنا الأمر إلى فنى عادى .

انعقد حاجبا (أكرم) فى شدة ، وعاد إلى مقعده ، وهو يقول :

ـ حديثك يثير اهتمامى بشدة يا سيدتى .

اعتدلت بدورها ، وشاب لهجتها شىء من الحماس ، وهى تتابع :

ـ عندما بدأت تجارب هندسة الوراثة والجينات ، فى سبعينات القرن العشرين ، كان الغرض الرئيسى منها هو تحسين بعض سلالات النبات والحيوان ، بإضافة صفات وراثية خاصة إليها ، مأخوذة من سلالات أخرى ، مثل إضافة صفة الضخامة إلى بعض أنواع الماشية ، أو صفة مقاومة الملوحة لبعض النباتات ، أو ما يشبه هذا وذاك .. وحتى يمكن التوصل إلى هذه النتائج ، كان من الضرورى معرفة حوامل الصفات الوراثية ، وتحديدها بدقة تامة .. ولقد حدثت عشرات الأخطاء ، فى التجارب الأولى ، إلا أنه ، ومنذ ثمانينات القرن العشرين ، أصبح من الممكن تحديد الصفات الوراثية المطلوبة بمنتهى الدقة ، ولم يعد من العسير تحديد الصفات المطلوبة ، فى

تكوين أية سلالات جديدة ، بل إن الاختيار أصبح أكثر سهولـة ويسـرا . مـع التكنولوجيـا المتقدمـة فـى التسعينات ، وفى أوائل القرن الحادى والعشرين .

قال (نور) فى توتر :

ـ ما تقولينه بالغ الخطورة يا سيدتى ، فهـو يعنى أن العلماء لم يخطئوا ، بـل إنهم كـانوا يدركـون جيدا طبيعة ذلك الكائن ، الذى أنتجوه فى معاملهم .

قالت مؤيدة :

ـ هذا صحيح إلى حد كبير ، فلقد حددوا السمات الرئيسية له بالتأكيد ، من حيث الشكل والقدرات ، ولكن امتزاج الجينات قد يباغتهم بصفـات جديدة ، لم تكن فى حسباتهم ، مثل الذكاء والجنون أو الوحشية .

قال (أكرم) فى صرامة :

ـ أشك فى هذا ؟

التفت إليه (نور) متسائلا ، فتابع فى حزم :

ـ كلامك يعنى أنهم كـانوا يدركـون جيدا ، أنهم سيجدون أمامهم حرباء ضخمة ، لها صفات متفوقة ، وهذا يدفعنى للشك فى أنهم تعمدوا إنتاج كائن خارق مفترس .

سأله (نور) ، وهو يغالب شكوكه :

ـ ولماذا يفعلون ؟

أجابه (أكرم) بسرعة :

ـ حتى يكـون لديهم سلاح جديـد ، لا مثيـل له يا (نور) .. سلاح مفترس .

وكان هذا القول مخيفا ..

مخيفا بحق ..

بل وكـان يعنـى أن المسئول عـن ذلـك الرعـب المطلق السراح فى قلب (القـاهرة) ، هـو حتمـا أحد المسئولين فى أخطر أجهزة الأمن ، فى (مصر) كلها .

فى جهاز المخابرات ..

المخابرات العلمية .

* * *

٥ ـ المسئول ..

تسلل شىء من العصبية والتوتر الى أعماق (أكرم) ، وهو يقف مع (نور) داخل ذلك المصعد الزجاجى الصغير ، الذى يهبط بهما إلى مركز الأبحاث العلمية ، التابع لإدارة المخابرات ، وأزعجته تلك الحزمة الصغيرة من الضوء الوردى ، التى راحت تمسح وجهيهما فى بطء ، فقال فى حدة :

ـ لقد سئمت هذه الأشياء .. لماذا لا تقومون بتشريح كل من يدخل إلى هنا ، للتحقق أكثر من شخصيته ؟

أجابه (نور) فى هدوء :

ـ إنها وسائل أمن ضرورية ، وسرعان ما تعتاد كل هذا وتألفه .

قال فى عصبية :

ـ متى ؟.. بعد قرن أو قرنين مثلا .

لم يجب (نور) هذه المرة ، ، والمصعد يتوقف بهما أمام باب معدنى ، انبعث منه صوت إليكترونى ناعم يقول :

ـ المقدم (نور) والمهندس (أكرم) .. ألديكما موعد سابق ؟

أجاب (نور) فى حزم :

ـ كلا ، ولكننا هنا فى مهمة رسمية ، استكمالا لتحقيقات سرية خاصة ، وبطاقتى تبيح لى دخول كل المناطق فى الجهاز كله .

مرت لحظة من الصمت ، ثم انبعث ذلك الصوت الإليكترونى مرة أخرى ، قائلا :

ـ فحص بصمات قزحية العين .

وقف (نور) و (أكرم) صامتين ، فى حين انطلق من ثقب صغير بالباب ، شعاع دقيق من الليزر ، فحص قزحية كل منهما فى سرعة ، ثم انفتح الباب فى بطء ، واتسعت عينا (أكرم) فى دهشة بالغة ، وهو يحدق فى تلك القاعة الهائلة ، التى انكشفت أمامه ، والتى بدت له أشبه بخلية من النحل ، يؤدى كل من فيها عمله فى سرعة وصمت ، وإن التفتت معظم العيون إليهما فى تساؤل ، وهما يعبران الباب ، ويتحركان عبر القاعة ، فغمغم (أكرم) :

ـ ماهذا بالضبط ؟

أجابه (نور) :

ـ كما سبق أن أخبرتك يا زميلى العزيز .. هذا مركز الأبحاث العلمية الخاص بنا ، وهنا تجرى عشرات التجارب والاختبارات في كل لحظة ، لاستنباط وسائل تكنولوجية حديثة ، أو كشف غموض سلاح سرى ، حصلنا عليه من أحد الأعداء ، أو التوصل إلى كشف علمى جديد .

سأله (أكرم) ، دون أن يخفى انبهاره :

ـ ألدينا فى (مصر) كل هذا ؟

ابتسم (نور) ، وهو يجيب :

ـ بل لدينا ما هو أعظم من هذا .. إنك لم تر الأقسام بالغة السرية بعد .

لم ينبس (أكرم) ببنت شفة ، بعد هذا القول ، وطوال سيرهما فى مركز الأبحاث ، حتى بلغا ممرًا خاصًا ، أشار (نور) إلى إحدى حجراته ، قائلاً :

ـ وصلنا .

رفع (أكرم) عينيه إلى الباب ، وقرأ لافتة أنيقة ، تقول : « مركز أبحاث الجينات » ، فى حين كان (نور) يدفع بطاقته المغنطيسية الصغيرة فى تجويف خاص بالباب، الذى استجاب على الفور ، وانفتح على مصراعيه، وظهر خلفه ثلاثة من العلماء .. رجلان وامرأة ، تطلعوا

إلى (نور) و (أكرم) فى مزيج من الدهشة والسخط ، قبل أن يهتف أكبرهم سنًا .

ـ من أنتما ؟ وماذا تفعلان هنا ؟

أطلعه (نور) على بطاقته ، وهو يقول فى حزم :

ـ المقدم (نور الدين) ، أعتقد أن الدكتور (ناظم) أبلغكما بعزمى على الالتقاء بكم ، بشأن حادثة الحرباء .

خُيِّل إليه أن عبارته بدت لهم أشبه بسباب جارح ؛ إذ امتقعت وجوههم بغتة ، وارتجفت شفتا المرأة ، وتبادل الجميع نظرة شديدة التوتر ، لم تغب عن عينى (أكرم) ، الذى قال فى حيرة :

ـ هل حضرنا فى وقت غير مناسب ؟

قال (نور) فى سرعة ، وكأنه يعمد إخفاء عبارة (أكرم) :

ـ أعتقد أيها السادة أن لديكم حتمًا ما يفيدنا فى هذه القضية .

اندفعت المرأة تقول بغتة ، فى عصبية عجيبة :

ـ إذن فأنتما (نور) و (أكرم) ، اللذان أثارا تلك الضجة الرهيبة فى المستشفى .. لقد أخبرونا أنكما تسببتما فى إفزاع عدد ضخم من المرضى ، وإصابة البعض بأزمات ونوبات قلبية ، و..

قاطعها (أكرم) فى خشونة :

- كل هذا بسبب ذلك الشىء ، الذى ابتكرتموه هنا يا سيدتى .

احتقن وجه المرأة فى حنق ، وهى ترمقه بنظرة مشتعلة ، وقالت فى حدة :

- بأى حق .

أسرع أكبرهم سنًا يقاطعها قائلا :

- رويدك يا دكتورة (نرمين) .. الرجل لم يقصد شيئا .

أطبقت شفتيها فى غضب واضح ، وأشاحت بوجهها المحتقن ، فى حين قال (نور) للرجل فى هدوء :

- أعتقد أنك الدكتور (خالد فريد) .. رئيس مركز أبحاث الجينات .

أومأ الرجل برأسه إيجابًا ، وهو يقول :

- هذا صحيح أيها المقدم ، وزميلى الشاب هو الدكتور (هيثم صادق) ، أما زميلتنا الغاضبة ، فهى الدكتورة (نرمين مندور) ، خبيرة الجينات والصفات الوراثية العالمية ، والتى تم ترشيحها لنيل جائزة (نوبل) فى العلوم ، فى العام الماضى .

قال (أكرم) بلهجة شبه ساخرة :

- وهل حصلت عليها ؟

إزداد احتقان وجه المرأة ، وهى تلتفت إليه مرة أخرى ، قائلة فى حدة :

- الترشيح وحده شرف كاف أيها الجاهل .

انعقد حاجباه فى غضب شديد ، وصاح :

- جاهل ؟! .. أنا جاهل أيتها الـ ..

أوقفه (نور) بضغطة قوية على ذراعه ، وهو يقول :

- مهلا أيها السادة .. لماذا احتشد اللقاء الأول بكل هذا القدر من العدوانية ؟ .. ألديكم سبب منطقى لهذا ؟

بدت الدهشة على الوجوه لحظة ، قبل أن يطلق الدكتور (هيثم) ضحكة عصبية ، ويقول :

- عجبًا !.. لماذا حدث هذا بالفعل ؟

ران على المكان صمت ثقيل ، بعد تلك العبارة ، وراح كل من الحاضرين يتطلع إلى وجوه الآخرين ، قبل أن يقول (نور) :

- أعتقد أننا نستطيع مناقشة الأمر بهدوء الآن .

زفرت الدكتورة (نرمين) بصوت مسموع ، وارتسمت على شفتى الدكتور (هيثم) ابتسامة عصبية ، فى حين قال الدكتور (خالد) فى توتر :

ـ ما الذى تريدان معرفته ؟

أجابه (نور) :

ـ الكثير .. نريد معرفة كيف حدث هذا الخطأ ؟

كان الدكتور (خالد) يهم بإجابة السؤال ، عندما اندفعت الدكتورة (نرمين) تقول فجأة :

ـ لست مسئولة عن هذا .. لقد تجاهلوا وجودى تماما ، وقام الدكتور (خالد) والدكتور (هيثم) بالعمل وحدهما .. إنهما المسئولان عن الخطأ كله .

انعقد حاجبا الدكتور (هيثم) فى شدة ، وهو يهتف :

ـ هل تتنصلين من المسئولية ؟! .. لقد عملنا وحدنا لأنك غضبت ، وانصرفت ، مثل صبية صغيرة حمقاء ، ونسيت أنك عالمة محترمة .

صاحت به :

ـ أنا عالمة محترمة ، على الرغم منك ، ولكننى لا أقبل مثل هذا العبث .. المفروض أننى الخبيرة المسئولة عن تحديد الجينات المطلوبة ، ووسيلة مزج بعضها ببعض ، للحصول على النتيجة المنشودة ، ولكنكما تجاهلتما هذا ، وبدأتما العمل بدونى ، ومن الطبيعى أن يغضبنى هذا .

قال (أكرم) فى حدة :

ـ هل ستتشا ...

قاطعه (نور) فى صرامة :

ـ اصمت :

التفت إليه فى دهشة واستنكار ، ولكن الدكتور (خالد) قال :

ـ لا تعترض يا سيد (أكرم) ، فصديقك أذكى مما تتصور .. إنه يحذرك من التدخل فى الأمر ، حتى نواصل شجارنا ، ويلتقط هو منه كل ما يريد من معلومات عما حدث .

هتفت (نرمين) فى استنكار :

ـ ياللخبث والدهاء !

ولكن (نور) ظل هادئا ، وهو يسألها :

ـ أخبرينى يا سيدتى .. هل حدث مثل هذا من قبل !

قالت فى توتر :

ـ أتقصد أن يتجاهلانى فى العمل ؟

أومأ برأسه إيجابا ، فقالت فى حدة :

ـ كلا .. لم يحدث هذا من قبل قط ، وليس من المفروض أن يحدث ، وبالذات فى المحافل العلمية ، فلكل منا تخصصه ، وليس من المنطقى أن يتجاوز عالم ما زميله ، مهما كانت الأسباب ؛ لأن هذا كفيل بإفساد العمل .

قال (نور) فى هدوء :

ــ ربما كان هذا الإفساد مقصودا .

انفجر قوله كقنبلة وسط المكان ، على الرغم من الهدوء الشديد الذى نطقه به . واحتقن وجه الدكتور (خالد) فى شدة ، وهو يصرخ :

ــ ماذا تقصد بهذا القول أيها المقدّم ؟

هزّ (نور) كتفيه ، وقال :

ــ إنه مجرد افتراض يا سيدى .

صاح الدكتور (هيثم) :

ــ بل محض افتراء ، واتهام سخيف ، نرفض حتى مجرّد سماعه .. هذا الخطأ الذى حدث لم يكن مقصودا ، و ..

قاطعه (نور) بلهجة شديدة الصرامة :

ــ مستحيل !

حدّق الجميع فى وجهه بدهشة ، وقد أرهبتهم هذه الصرامة المباغتة ، فى حين تابع هو بلهجة قاسية :

ــ من المستحيل أن يخطئ ثلاثة من العلماء مثلكم ، فى أمر بسيط كهذا ! . لست أدّعى أن هندسة الجينات عملية بسيطة ، ولكن أى متخصص فيها يمكنه اختيار الصفات الوراثية المنشودة ، بدون أدنى خطأ ، وهذا يعنى

أن إنتاج ذلك الكائن لم يحدث بسبب خطأ ما ، ولا بصورة عشوائية .. بل لقد حدث هذا عمدا ، ومع سبق الإصرار والترصّد ، وما أطلبه هنا ليس محاولة للتورية ، أو ضياع بعض الوقت مع اللف والدوران .. بل أريد اعترافا صريحا ومباشرا ، وشرحا للأسباب التى دعتكم إلى فعل هذا .

شعر (أكرم) بالدهشة ، مع ذلك الأسلوب المباشر الحازم ، الذى اتبعه (نور) ، ولكن دهشته هذه امتزجت بالكثير من الإعجاب ، حتى أن ابتسامة مفعمة بالاحترام ، وثبت فوق شفتيه الصامتتين ، وهو يراقب العلماء الثلاثة ، الذين شحبت وجوههم ، وغلّفهم صمت رهيب ، قطعته الدكتورة (نرمين) ، متمتمة :

ــ كنت أعلم هذا .. كنت أعلم هذا .

صاح فيها الدكتور (خالد) :

ــ اصمتى .

هتفت محنقة :

ــ كلاّ .. لن أصمت .. ذلك المقدّم على حق .. لقد فعلتما هذا عن عمد ، ولم يكن الأمر مجرّد خطأ عادى .. لا يمكنكما خداع متخصص عادى فى هذا ، فما بالكما بخبيرة مثلى .؟!

امتقع وجه الدكتور (هيثم) فى شدة ، وبدا أشبه بتلميذ صغير ، ضبطه المراقب متلبسا بالغش ، فى امتحان نهائى ، فى حين انهار الدكتور (خالد) على أقرب مقعد إليه ، وهو يتمتم :

ـ ربّاه !.. ربّاه !!.. كان ينبغى أن نتوقّع هذا ، و ..

قاطعه فجأه صوت الباب وهو يُفتح ، فالتفت إليه الجميع فى حدة ، ورأوا على عتبته أحد عمال المركز ، وهو يحمل قدحا من الشاى ، ويقول فى ارتباك :

ـ لقد أحضرت الشاى الخاص بالدكتور (خالد) .. هل أخطأت بالدخول ؟

أشار إليه الدكتور (خالد) فى توتر :

ـ كلاّ يا فتى .. كلا .. لقد وصلت فى الوقت المناسب تماما .. أعطنى هذا القدح ، وانصرف من هنا .. هيا ..

ناوله العامل القدح ، وأسرع ينصرف ، فارتشف الدكتور (خالد) رشفة من الشاى ، وهو يقول متوترا :

ـ أعتقد أنه لم يعد هناك مفر من الاعتراف .

غمغم (نور) فى خفوت :

ـ نعم .. أعتقد هذا .

ارتشف الرجل رشفة أخرى من الشاى ، قبل أن يتمتم :

ـ لم نكن نتصوّر أن هذا خطأ .. لقد كنا ننفذ الأوامر فحسب .

عقد (أكرم) حاجبيه ، وهو يقول :

ـ الأوامر ؟!

عاد الدكتور (خالد) يرتشف رشفة كبيرة من الشاى ، قبل أن يقول :

ـ كنت أظن أن هذا يحدث لصالح الدولة ، وأن ..

بتر عبارته بغتة ، واحتقن وجهه فى شدة ، وجحظت عيناه ، وهو يرفع كفيه إلى عنقه ، هاتفا فى ارتياع :

ـ ربّاه !.. لقد .. لقد ..

ثم انطلقت من حلقه شهقة قوية ، امتزجت بصرخة مذعورة ، أطلقتها الدكتورة (نرمين) ، عندما وقف الرجل يلوّح بأحد ذراعيه ، ويده الأخرى تمزّق ياقة قميصه فى استماتة ، وكأنه يقاتل ليلتقط بعض أنفاسه ، وصاح (نور) :

ـ العامل .. لقد دسّوا له السم .. اتصلوا بوحدة الإسعاف .

وانطلق يعدو خارج الحجرة ، فى محاولة للحاق بالعامل ، فى حين سقط الدكتور (خالد) أرضا ، وهو يطلق شهقات عنيفة ، وتضاعف احتقان وجهه بشدة ،

حتى بدا وكأنه سينفجر من شدة الدماء ، وصرخت الدكتورة (نرمين) :

ـ اتصلوا بالإسعاف .. افعلوا شيئا .

ولكن الدكتور (خالد) لم يكن فى حالة تسمح بانتظار الإسعاف ، فقد كان يحتضر ..

وبسرعة ..

* * *

انطلق (نور) يعدو ، عبر الممر الطويل ، الذى يحوى حجرات الأبحاث ، حتى بلغ تلك القاعة الواسعة ، فجال فيها ببصره فى سرعة ، حتى لمح ذلك العامل ، وهو يحث الخطا نحو باب الخروج ، فصاح به فى صرامة :

ـ قف يا رجل هناك .

كان الرجل يتحرك فى خطوات واسعة ، أضفى عليها الكثير من الثقة ، ولكنه لم يكد يسمع صيحة (نور) حتى استدار إليه فى حدة ، وانعقد حاجباه فى شدة ، ثم انطلق يعدو نحو الباب ، وقد أدرك أنه لم يعد هناك مبرر للتظاهر ، فانطلق (نور) خلفه ، وهو يصيح مرة أخرى :

ـ قف يا رجل .. لن تنجح فى الفرار من هنا .

سادت حالة من الذعر والهرج ، فى مركز الأبحاث ، وراح العلماء يعدون مبتعدين ، وقد أصابتهم تلك المطاردة ، التى لم يعهدوا مثلها قط ، بالكثير من الرعب والهلع ، خاصة وأن ذلك الرجل انتزع من طيات ثيابه مسدسا ليزريًا ، وراح يلوح به ، صارخا :

ـ ابتعدوا عن طريقى .. ابتعدوا وإلا قتلتكم جميعا :

وثب (نور) فوق أحد الأجهزة ، وقفز منه إلى منتصف القاعة ، وانطلق يعدو نحو الرجل الذى بلغ الباب المغلق ، ودفع بطاقته المغنطيسية فى فتحتها الخاصة ، إلا أن نظم الأمن الآلية كانت قد التقطت ما يحدث فى القاعة ، فأغلقت الأبواب آليًا ، وألغت عمل البطاقات المغنطيسية مؤقتا ، فلم يستجب الباب ، وأدرك الرجل أنه أصبح سجينا داخل مركز الأبحاث ، مما ضاعف من شراسته ، وهو يلتفت إلى (نور) ، صارخا :

ـ فليكن .. لم يعد أمامى سوى هذا .

وأطلق مسدسه الليزرى ، ولكن (نور) مال إلى اليسار ، وانحنى فى مرونة ، متفاديا شعاع الليزر ، ثم وثب بكل قوته ، هاتفا :

ـ خسرت فرصتك يا رجل .

وأحاط وسط الرجل بذراعيه ، وهو يدفعه أمامه ، مستطردا :

ـ وحانت فرصتى أنا .

كان الارتطام عنيفا ، فسقط الاثنان أرضا ، وأطلق الرجل طلقه ليزر أخرى ، أصابت أحد أجهزة المركز ، ونسفته بدوى عنيف ، أثار مزيدا من الذعر والهلع فى المكان ، فكال له (نور) لكمة كالقنبلة ، وهو يقول :

ـ كفى يا هذا .. إنك تفسد الأمور كثيرا ..

ثم أعقبها بأخرى فى معدته ، مضيفا :

ـ وهذا يحتم إفقادك الوعى .

ولكن الرجل احتمل الضربة ، على الرغم من قوتها ، وتراجع بسرعة ومرونة ، ثم صرخ فى وحشية ، وهو يصوب مسدسه إلى رأس (نور) :

ـ بل يحتم قتلك أنت أيها المغرور .

ودوى صوت طلقة رصاص فى القاعة ..

طلقة أطلقها (أكرم) ، لتخترق رأس الرجل ، قبل أن يضغط زناد مسدسه الليزرى ، فجحظت عيناه ، وترنح جسده ، وتدفقت الدماء من ثقب فى جبهته ، قبل أن يسقط جثة هامدة ، ويرتفع صوت (أكرم) ، وهو يقول فى سخرية :

ـ يبدو أن ذلك الأحمق تسرع كثيرا فى قوله الأخير .

التفت إليه (نور) ، وهو يهتف محنقا :

ـ (أكرم) .. لقد قتلته :

عقد (أكرم) حاجبيه فى غضب ، وهو يقول :

ـ عجبا !.. هذا الوغد كاد يقتلك ، ورصاصتى أنقذت حياتك ، فلماذا الحنق ..؟!

صاح به (نور) :

ـ كان يمكنك أن تطلق النار على مسدسه ، أو حتى على ساقيه ، ولم يكن من المحتم أن تقتله .

هتف (أكرم) فى غضب :

ـ آه .. نسيت أننى أعمل مع (نور) المهذب الرقيق ، الذى يتأثر كثيرا لرؤية الدماء ، والذى يبغض القتل والعنف .

صاح (نور) فى وجهه :

ـ لا علاقة للأمر بالرقة والتأثر ، ولا بطبيعة شخصيتى ، ولكن هذا الرجل قتل الدكتور (خالد) بالسم ، ولم يفعل هذا لأن ملامحه لا تروق له ، وإنما لأنه هناك آخرون وراء هذا ، ووراء وجود ذلك الوحش الطليق ، الذى يفترس البشر فى (مصر) ، والمفروض أن نبذل قصارى جهدنا لإلقاء القبض عليه حيا ، حتى يمكننا انتزاع ما لديه من معلومات .

قال (أكرم) فى حدة :

ــ فليكن .. ربما كان علينا أن نفعل هذا ، ولكننى كنت أفكر فى إنقاذك بالدرجة الأولى ، فلم أنتبه إلى هذا .

قال (نور) فى توتر :

ــ إنك لم تنتبه إلى أمور كثيرة يا (أكرم) .. لقد تركت الدكتور (هيثم) وحده ، لتأتى إلى هنا .. أليس كذلك !

هتف (أكرم) :

ــ رباه ! .. أنت على حق يا (نور) .. لقد تركته وحده ..

ثم انطلق يعدو نحو حجرة أبحاث الجينات ، هاتفا :

ــ هل تعتقد أنه سيجد وسيلة للفرار ، على الرغم من الأبواب المغلقة ؟

بلغا الحجرة ، قبل أن يجيب (نور) ، وصاح (أكرم) فى غضب ، عندما وقع بصره على الدكتورة (نرمين) ، الفاقدة الوعى ، إلى جوار جثة الدكتور (خالد) :

ــ اللعنة !.. لقد فعلها .

فى نفس اللحظة التى نطق فيها (أكرم) هذه العبارة ، كان الدكتور (هيثم) يعبر الباب الخارجى لممر الطوارئ ، والذى يقود إلى خارج المبنى ، وانطلق يعدو نحو سيارته ، وهو يلهث قائلا فى انفعال :

ــ لقد كشفوا الأمر .. كشفوا أمرنا .. ليتنا ما فعلنا هذا .. لماذا أطعنا أوامره .. لماذا ؟

فتح باب سيارته ، وقفز داخلها ، و ..

وانتفض جسده فى عنف ، وهو يحدق فى مرآة السيارة ، التى نقلت إليه صورة لشخص لم يتوقع رؤيته قط .

للدكتور (خالد) ..

وفى رعب شديد ، هتف الدكتور (هيثم) :

ــ دكتور (خالد) ؟! .. ولكن هذا مستحيل !.. لقد تركتك جثة هامدة منذ دقائق معدودة ، و..

بتر عبارته فى رعب ، وهو يحدق مرة أخرى فى ذلك الوجه ، وسرت فى جسده قشعريرة باردة ، ارتجف لها كيانه كله ، قبل أن يستطرد :

ــ ولكن .. ولكنك لست ..

لم يستطع إكمال عبارته ، وهو يحدق فى العينين المشقوقتين طوليًا كعيون الثعابين ، وتردد ذلك الفحيح المخيف فى السيارة ، قبل أن تنطلق المخالب الحادة الرهيبة ، لتنغرس فى عنق الدكتور (هيثم) ، و ..

وانتهى الأمر فى لحظات معدودة .

* * *

وتردد ذلك الفحيح المخيف فى السيارة ، قبل أن تنطلق المخالب الحادة الرهيبة ، لتنغرس فى عنق الدكتور (هيثم) ..

٦ ـ أنياب ومخالب ..

اتسعت عينا الدكتور (ناظم) فى ارتياع ، وهو يتطلع إلى جثة الدكتور (هيثم) . الممزقة شر تمزيق ، قبل أن يهتف :

ـ ولكن كيف ؟! .. كيف وصل ذلك الوحش إلى هنا ، على الرغم من إجراءات ونظم الأمن ، التى أحطنا بها كل شىء ؟

أجابه (نور) فى اهتمام :

ـ ربما تلقى مساعدات داخلية يا سيدى .

سأله الدكتور (ناظم) ، فى لهجة تجمع ما بين الدهشة والاستنكار :

ـ مساعدات داخلية ؟.. كيف يحدث هذا يا (نور) ؟ ومن يمكن أن يمنحه مثل هذه المساعدات .

أشار (نور) إلى جثة الدكتور (هيثم) ، قائلاً :

ـ من هذا الرجل .

حدق الدكتور (ناظم) فى وجه (نور) بدهشة ، ثم نقل بصره إلى جثة الدكتور (هيثم) مرة أخرى ، قبل أن يهتف :

ـ ماذا تقول يا (نور) ؟ .. كيف يمكن لأحد رجالنا أن يفعل هذا ؟

شدّ (نور) قامته ، وهو يقول :

ـ يبدو أنه هناك أمور كثيرة ، تحتاج إلى الشرح يا سيّدى ؟

وفى هدوء ، وبكلمات حاسمة موجزة ، قصّ على الدكتور (ناظم) كل ما حدث ، واستمع إليه الرجل فى ذهول ، قبل أن يقول :

ـ مستحيل !.. كيف فعل الدكتور (خالد) والدكتور (هيثم) هذا ؟.. كيف تعمّدا الخطأ على هذا النحو ؟.. وأيّة أوامر تلك ، التى كانا يطيعانها ؟

أجابه (نور) :

ـ من الواضح أنهما قد تلقيا أوامرهما من أحد المسئولين ، على نحو أوحى إليهما بأن الأمر سرى للغاية ، ولمصلحة أمن الوطن ، ولهذا أطاعاه ، ونفذا ما طلبه بالحرف الواحد ، فتعمدا استفزاز الدكتورة (نرمين) ، حتى تبتعد عن العمل ، وتتركهما وحدهما ، وبعدها أعادا ترتيب الصفات الوراثية ، وجينات الكائن الجديد ، وهما يعلمان جيدًا أنهما سيحصلان على حرباء عملاقة ، ذات صفات متفوّقة ، وذكاء خارق .

هزّ الدكتور (ناظم) رأسه ، قبل أن يقول :

ـ ربما يمكنهما معرفة هيئة ذلك الكائن ، ولكن من العسير أن يدركا درجة الذكاء التى سيتمتع بها ، فلا يمكن تحديد هذا فى المعمل .. إنها هبة من الخالق (عز وجل) .

بدا الاهتمام على وجه (نور) لحظات ، قبل أن يقول :

ـ قل لى يا سيّدى .. من يمكنه توجيه الأوامر لعلماء مركز الأبحاث العلمية ؟

أجابه الدكتور (ناظم) فى سرعة :

ـ أنا .

ثم انتبه بغتة إلى ما يعنيه هذا ، فاحتقن وجهه ، وهو يستدرك بسرعة :

ـ وهناك آخرون .

سأله (نور) فى هدوء ، وكأنه لم ينتبه إلى اضطرابه :

ـ مثل من ؟

تردّد الدكتور (ناظم) بضع لحظات ، قبل أن يجيب :

ـ رئيس الجمهورية بالطبع ، والقائد الأعلى للمخابرات العلمية ، ووزير الدفاع .

التقى حاجبا (نور) فى شدة ، عندما استمع إلى هذا الجواب ، فكل الشخصيات المشار إليها بعيدة تماما عن الشبهات ، ولا يمكن مجرد الشك فى وطنيتها أو سلوكها ..

وهذا يجعل الأمر أكثر تعقيدا ..

أكثر بكثير ..

وفى شىء من الجدة والعصبية ، انتزع (أكرم) نفسه من صمته ، وقال :

ـ هذا يعنى أن القضية قد أُغلقت ، من قبل أن تبدأ .

التفت إليه (نور) ، قائلا :

ـ من قال هذا ؟

لوّح (أكرم) بكفيه ، قائلا :

ـ من منهم يمكنك استجوابه بصفة قانونية ؟

صمت (نور) لحظة ، قبل أن يقول :

ـ ربما كنا عاجزين ، فى الوقت الحالى ، عن استكمال الشق الإدارى فى المهمة ، وأعنى به مرحلة التحقيق والاستجواب ، ولكن ما زال بأيدينا أن نتابع الشق العملى منها .. مطاردة الوحش .

وشرد ببصره ، قبل أن يستطرد فى عمق وحزم ، وعيناه تتابعان قرص الشمس ، فى رحلة غروبه :

ـ الوحش المفترس ..

* * *

أقبل الليل بسرعة ، كما يحدث عادة فى ليالى الشتاء ، وانتشر الظلام مع البرودة ، فى ليلة غاب فيها القمر ، ولملمت السيدة (سميرة) ياقتى معطفها ، وهى تغادر سيارتها الصغيرة ، أمام البناية التى تقيم بها ، على مشارف (القاهرة الجديدة) ، وحاولت أن تبتسم ، وهى تقول لنفسها :

ـ يالها من ليلة باردة !.. ليتك استمعت إلى أمك ، واستبدلت بوظيفة شركة الطيران هذه عملا إداريًا بسيطا ، ينتهى فى منتصف النهار ، حتى يمكنك الاستمتاع بدفء الفراش طويلا .

قالتها وكأنها تتحدث إلى شخص آخر ، ثم فتحت حقيبة السيارة ، والتقطت منها عددا من الأكياس الصغيرة ، تحوى بعض المشتريات ، وضمتها إلى صدرها ، وهى تتجه إلى البناية فى حسم ..

وفجأة ، لمحت تلك الطفلة ..

طفلة صغيرة ، بريئة الملامح ، تقف عند الناصية ، على مسافة عدة أمتار من مدخل البناية ، وتتطلع إليها مباشرة ..

كان الوقت مبكرًا ، ولكن البرودة القارصة جعلت الشارع خاليًا تقريبًا ، مما أثار قلق السيِّدة (سميرة) على تلك الصغيرة ، فهتفت بها :

ـ ماذا تفعلين خارج البيت ، في مثل هذا الوقت يا صغيرتى ؟

لم تجب الصغيرة ، ووقفت تتطلع إليها لحظة أخرى ، ثم انطلقت تجرى نحو المنطقة القريبة المهجورة ، من (القاهرة القديمة) ..

وفى هلع ، هتفت السيِّدة (سميرة) :

ـ لا .. لا تذهبى إلى هناك .

توقفت الصغيرة عند أطراف الأطلال القديمة لحظة ، واستدارت تنظر إلى السيِّدة (سميرة) ، قبل أن تتابع سيرها نحو المنطقة المهجورة ، فهتفت بها (سميرة) :

ـ خطأ .. كيف سمح لك والداك بالخروج ، فى مثل هذا الطقس .

كانت ترغب ، وبشدة ، فى الصعود إلى منزلها ، إلا أن قلبها لم يسمح لها بالتخلى عن تلك الصغيرة ، فوضعت الأكياس داخل حقيبة السيارة مرة أخرى ، وأسرعت الخطا نحو الأطلال القديمة ، وهى تهتف :

ـ عودى أيتها الصغيرة .. عودى ..

ومنذ أقامت السيِّدة (سميرة) فى تلك المنطقة ، وهى تشعر بخوف مبهم من تلك الأطلال القديمة ، وعلى الرغم من ذلك ، فلم تتردَّد فى اقتحامها ، خلف تلك الصغيرة ، خشية أن تضل طريقها وسطها ..

ولكن الصغيرة اختفت فجأة ..

وفى توتر ، ، توقفت (سميرة) تدير عينيها فيما حولها ، وهى تهتف :

ـ أين أنت يا صغيرتى ؟! .. أين ذهبت ؟

سمعت صوتًا من خلفها ، فالتفتت إلى مصدره فى سرعة ، وتنهدت فى ارتياح ، عندما وقع بصرها على الصغيرة ، وهى تستند إلى جدار نصف متهدِّم ، وتتطلع إليها مباشرة ، فاتجهت نحوها ، وهى تبتسم محاولة إخفاء اضطرابها ، قائلة :

ـ آه .. هأنتذى أخيرًا .. لماذا غامرت بالدخول إلى هنا .

كانت تهم بالانحناء لالتقاط الصغيرة ، عندما بدا لها فجأة أنها تزداد طولاً وحجمًا على نحو عجيب ، فارتدت معتدلة ، وهتفت :

ـ ما هذا بالضبط ؟

لم تكد تنطقها ، حتى ارتطم بصرها بعينى الصغيرة .. وانتفض جسدها كله فى رعب ..

وقبل أن تتراجع مذعورة ، أمام تلك العينين المشقوقتين طوليًا ، كان جسد الفتاة يتبدّل فى سرعة ، ويتحوّل إلى صورة مخيفة ، انعقد لها لسان السيِّدة (سميرة) رعبا ، و..

وانطلقت المخالب الحادة ، مع ذلك الفحيح الرهيب ، فأطلقت السيِّدة (سميرة) صرخة رعب هائلة ، انتهت عندما انغرست الأنياب القاسية فى عنقها ، وانتزعت حنجرتها بلا رحمة ..

ووسط بركة مخيفة من الدماء ، جلست الحرباء الهائلة تتناول طعامها من اللحم ..

اللحم البشرى ..

* * *

حدّقت (هناء حمّاد) ، الخبيرة البيولوجية ، فى وجه (نور) بدهشة بالغة ، قبل أن تهتف فى مزيج من الحدة والاستنكار :

ــ أعمل معكما ؟! .. ماذا تقول أيها المقدّم ؟.. أنسيت ما أصابنى ، من جراء تتبعى لذلك الوحش ؟!

قال (نور) فى هدوء :

ــ هذا يجعلك أكثرنا خبرة فى مواجهته ، والتعامل معه .

صاحت ، وجسدها يرتجف انفعالا :

ــ ولكننى لا أستطيع مواجهته مرة أخرى .. لن يمكننى هذا قط .. إن وجهه البشع يهاجمنى فى كوابيسى ، فأكاد ألقى مصرعى ، لولا أن أستيقظ صارخة مرتجفة .

غمغم (أكرم) فى شىء من الخشونة :

ــ لا أحد يلقى مصرعه من الكوابيس .

التفتت إليه ، قائلة فى عصبية :

ــ من قال هذا ؟! .. المرء يمكن أن يبلغ ذروة الانفعال ، فى أثناء كابوس ما ، فيلقى مصرعه ، أو يتوقّف قلبه فزعا ، قبل أن يستيقظ من نومه (*) .

قال (نور) فى هدوء :

ــ من حسن حظنا أننا نستيقظ عادة ، قبل بلوغ تلك المرحلة .

ثم مال نحوها ، مستطردا فى شىء من الحزم :

ــ والآن .. هل تتعاونين معنا ، للإيقاع بذلك الوحش ؟

تطلعت إليه لحظة فى صمت ، وإن شفت كل خلية فى جسدها ، وكل خلجة من خلجاتها عن توتر شديد ، أفصح عن نفسه فى نبراتها ، وهى تجيب :

(*) حقيقة علمية

ـ هل تعتقد أنه من الممكن أن أفيدكما بحالتى هذه ؟

أومأ (نور) برأسه إيجابا ، قبل أن يقول فى ثقة :

ـ بكل تأكيد .

خفضت (هناء) عينيها ، وتسللت أصابعها إلى شعرها بحركة غريزية ، وراحت تعبث بخصلاته السوداء الناعمة ، وهى تتمتم :

ـ لست أدرى فى الواقع .. هل يمكننى .. أعنى هل ..

لم يحاول (نور) مقاطعتها ، أو حثها على الاستمرار ، فلاذت بالصمت المتردد لحظات ، قبل أن تقول :

ـ فليكن .. سأحاول .

تنهد (أكرم) فى ضجر ، وأشاح بوجهه ليخفى انفعالاته ، فى حين قال (نور) :

ـ عظيم .. يمكننا أن نبدأ على الفور إذن .

هتفت مذعورة :

ـ على الفور ؟!

أجابها فى حزم :

ـ بالطبع .. لا يمكننا أن نضيع ثانية واحدة ، فذلك الوحش طليق فى المدينة ، ويفترس ضحية جديدة على الأقل ، فى كل يوم ، ولا يمكننا أبدًا أن نقف ساكنين ، أو نضيع لحظة واحدة ، دون أن نسعى للقضاء عليه .

صمتت بضع لحظات ، قبل أن تتمتم :

ـ أنت على حق .

كان (أكرم) يشعر بالملل من هذا الحوار ، فلم يكد يسمع عبارة (هناء) ، حتى نهض قائلاً :

ـ عظيم .. هيا بنا .

تطلعت إليه فى دهشة ، هاتفة :

ـ إلى أين ؟

لوح بذراعه ، قائلاً :

ـ إلى حيث نجد الوحش .

تضاعفت دهشتها ، وهى تقول :

ـ حيث نجده ؟!.. ليس هذا بالأمر السهل .. إنه يحتاج إلى دراسة جيدة ، ومتابعة لتحركاته وخط سيره ، فى الساعات الأخيرة ، ومعرفة ما يسعى إليه ، و ..

قاطعها متبرمًا :

ـ مهلاً يا سيدتى إننا نطارد وحشًا ، وليس عميلاً لمخابرات دولة أجنبية .

رمقه (نور) بنظرة حادة ، فى حين هزت (هناء) رأسها ، وقالت :

ـ من الواضح أنك لا تدرك طبيعة خصمك جيدًا

يا سيد (أكرم) .. صحيح أنه ، فى جزء من تكوينه ، مجرد وحش مفترس ، آكل لحوم ، لا يتورع عن التهام طفل صغير بلا رحمة ، وإراقة دماء عجوز واهنة بلا تردد ، إلا أنه ، وفى الوقت نفسه ، يحمل عقلا بشريا متطورا ، بالغ الذكاء إلى حد العبقرية ، وعبقرى إلى حد الجنون ، وهذا يعنى أنه لن يقف ساكنا ، فى انتظار توصلنا إلى مخبئه ، ومحاصرتنا له ، بل سيسعى لتأمين نفسه ، ومواجهتنا بكل قوته وشراسته .

بدا القلق على وجه (نور) ، وهو يسألها :

ـ هل تتوقعين هذا حقا ؟

أومأت برأسها إيجابا بكل ثقة ، قبل أن تجيب :

ـ بكل تأكيد ، بل ولن يدهشنى أن يكون ، وفى هذه اللحظة بالذات ، يسعى لجمع المعلومات عنكما ، بعد أن هاجمتماه فى المستشفى ، ومنعتماه من قتلى .

قالتها دون أن تدرك أن استنتاجها صحيح إلى حد كبير ..

بل إلى حد مذهل ..

* * *

تململ حارس مركز المعلومات فى ضجر ، وتثاءب فى إرهاق ، وهو يسترخى فى مقعده الوثير ، داخل حجرة

المراقبة ، مطالعا الشاشات الثلاث ، التى تنقل إليه كل ما يدور فى مدخل المركز ، ثم التقط صحيفة قديمة ، وراح يطالعها فى تراخ ، و ..

وفجأة ، لفت شىء ما انتباهه ، عند المدخل ..

شىء بدا له عجيبا للغاية ، من الوهلة الأولى ..

وفى توتر ، ألقى الحارس الصحيفة جانبا ، وراح يحدق فى شاشات المراقبة فى اهتمام ، قبل أن يتفجر مزيج رهيب من الدهشة والحيرة فى أعماقه ، وهو يغمغم .

ـ عجبا .. أنا واثق من أن المدخل كان يحوى عمودين فحسب ، وليس ثلاثة أعمدة .

كان محقا تماما فى هذا ، ولكن العمود الثالث كان يبدو واضحا فى موقعه ، إلى يمين المدخل ، ومتناقضا تماما مع النسق المدروس للمكان ، مما جعل الحارس يحدق فيه طويلا ، قبل أن ينتزع سلاحه ، مغمغما :

ـ ربما يخدعنى بصرى ، أو هو خلل فى شاشات المراقبة نفسها .. سألقى نظرة عن قرب للتأكد .

غادر حجرة المراقبة ، واتجه نحو المدخل فى حذر شديد ، وهو يمسك مسدسه ، وتعاظمت دهشته وهو يحدق فى ذلك العمود الثالث ، قبل أن يتمتم :

ـ عجبا .. متى وضعوه هنا ؟

اقترب بخطوات مترددة من العمود ، ووقف يتطلع إليه لحظات ، قبل أن يمد يده إليه فى حذر ، قائلا :

ـ إنه يشبه العمودين الآخرين تماما ، ولكن الشخص الذى اختار له هذا المكان يفتقر إلى الذوق السليم والـ ..

قبل أن يتم عبارته ، اندفعت يد بغتة من العمود ، وقبضت على معصمه فى قوة ..

وانتفض جسد الحارس كله فى رعب هائل ، وهو يحدق فى تلك الأصابع المخيفة ، التى قبضت على معصمه ، والتى بدت له أشبه بأصابع شيطان رجيم ، اخترق ذلك العمود ، وبرز منه ..

ثم استحال ذلك الرعب إلى شعور لا يمكن وصفه ..

شعور كاد يتوقف معه قلب الحارس ، عندما تحول ذلك العمود أمام عينيه إلى وحش رهيب الخلقة ، مخيف الهيئة ، بارز الأنياب ، أطلق فحيحا رهيبا ، قبل أن ينقض عليه بوحشية لا مثيل لها .

والعجيب أن الحارس المسكين لم يطلق سلاحه ..

ربما لأنه لم يجد الوقت لهذا ، عندما انغرست الأنياب القاتلة فى عنقه ، وقضمت منه قضمة كبيرة ..

وعندما سقط الحارس صريعا ، كانت أصابعه مازالت تقبض على سلاحه فى قوة ، وجسده ينتفض فى عنف ..

ولكن الوحش لم يبال بهذا ..

بل ولم يلتفت حتى إليه ..

لقد ترك ضحيته خلفه ، واتجه كديناصور صغير إلى داخل مركز المعلومات ، حيث اصطفت عشرات من أجهزة الكمبيوتر ، فاتخذ لنفسه مجلسا ، أمام أحد هذه الأجهزة ، ودفع جسده للتشكل فى هيئة آدمية ، حتى تستطيع أصابعه الضغط على الأزرار ، ثم راح يبحث عما يريد فى هدوء ..

وبعد ربع الساعة أو يزيد ، أطلق الوحش فحيحا مخيفا ، وهو يحدق بعينيه المشقوقتين طوليا فى صورتين ظهرتا على الشاشة ، مع لوحة من المعلومات ..

وكان صاحبا الصورتين هما الهدف ، الذى يسعى إليه الوحش ..

كانا بطلينا (نور) و (أكرم) ..

ولقد عرف عنهما الوحش ما يريده من معلومات ..

كل ما يريده .

* * *

٧ ـ ضربة ثأرية ..

لم تكن الشمس قد أفصحت عن شروقها بعد ، عندما اندفعت (مشيرة محفوظ) إلى مبنى (أنباء الفيديو) ، وهى تسأل أحد مساعديها فى لهفة :

ـ ماذا حدث ؟.. ما الخبر العاجل ، الذى دفعكم إلى إيقاظى ، فى الرابعة صباحا ؟

أجابها مساعدها ، وهو يسير مسرعا إلى جوارها ، فى طريقهما إلى مكتبها :

ـ لقد عثروا على ضحية جديدة فى الأطلال القديمة .

تتوقف لاهثة ، وهى تهتف :

ـ بهذه السرعة ؟!

وانعقد حاجباها ، وهى تعاود سيرها نحو مكتبها ، مستطردة :

ـ وما الحالة التى وجدوها عليها ؟

أجاب وكلماته تشف عن انفعاله :

ـ حالة رهيبة .

واضطره التوتر إلى أن يزدرد لعابه ، فى محاولة لترطيب حلقه الجاف ، قبل أن يضيف بكلمات مرتجفة :

ـ لقد التهم حيوان مفترس ذراعها وعنقها ، ونصف صدرها ، ومزق الباقى على نحو بشع .

دفعت باب مكتبها ، وألقت حقيبتها فوق سطح المكتب ، وهى تقول :

ـ ما الذى يحدث هنا ؟.. من الواضح أنه هناك حيوان مفترس ، فى مكان ما فى المدينة ، ولكن الشرطة ترفض الاعتراف بهذا تماما ، ولا تمتحنا أية معلومات كافية ، وحتى الطب الشرعى ، يأبى إطلاعنا على تقاريره ، بحجة أن النائب العام قد أصدر قرارا بسرية التحقيقات .

هز المساعد كتفيه ، وهو يقول :

ـ أنت تعرفين القانون .

انعقد حاجباها فى حزم ، قبل أن تقول :

ـ فليكن .. القانون يمنحهم الحق فى عدم إطلاعنا على نتائج تلك التحقيقات ، ولكنه لا يمنعنا من إعلان ما حدث بالفعل .. هيا .. استعد يافتى ، سنصدر نشرة خاصة لآخر الأنباء ، نصف فيها ما أصاب تلك الضحية المسكينة بالضبط ، ولنر كيف يكون رد الفعل .

رفع مساعدها كفه إلى رأسه ، كما يفعل العسكريون ، وهو يقول فى حماس :

ـ أمرك أيتها الرئيس .

وانطلق لإبلاغ الأمر للعاملين فى ستديوهات النشر ، فى حين خلعت (مشيرة) سترتها ، وألقت جسدها فوق مقعدها ، وضغطت أزرار جهاز الكمبيوتر الخاص بها ، لتتابع آخر التقارير والأخبار الواردة ، و..

وفجأة ، التقت أذناها تلك الحركة الخافتة ، الآتية من خلفها ..

وبسرعة اكتسبتها من كثرة المواجهات ، استدارت (مشيرة) إلى مصدر ذلك الصوت الخافت ، وانعقد حاجباها فى شدة ، عندما لاحظت تلك الاختلاجة الضعيفة ، فى الستار الذى يخفى نافذة الحجرة ، وقالت فى توتر :

ـ من هناك ؟

لم تتلقَ جوابًا على سؤالها ، ففتحت درج مكتبها فى عصبية ، والتقطت منه صاعقا كهربيًا ، أشبه بقلم صغير ، وهى تكرّر :

ـ من يقف خلف الستار ؟

ولما لم تتلق جوابا ، فى هذه المرة أيضًا ، نهضت من مقعدها فى حذر مرتجف ، واتجهت نحو النافذة ..

وفجأة ، أزاح أحدهم الستار ، والتقت عيناه بعينيها مباشرة ..

وقفزت (مشيرة) من مكانها ، وهى تهتف :

ـ ما هذا ؟

ثم أطلقت زفرة قوية ، قبل أن تستطرد :

ـ (أكرم) ؟! .. ماذا تفعل هنا ؟.. ولماذا أتيت من النافذة ؟

أجابها (أكرم) بابتسامة ساخرة ، وهو يغادر مكانه :

ـ اشتقت إليك كثيرا ياعزيزتى ، ووجدت أمامى ساعة خالية من العمل ، فعدت إلى المنزل ، ووجدت رسالة منك هناك ، تبلغيننى فيها أنك ذهبت إلى العمل بصورة عاجلة ، فلحقت بك إلى هنا .. هذا كل ما هناك ؟

ضحكت قائلة :

ـ وقرّرت أن تاتى من النافذة .. أليس كذلك ؟

ابتسم ، وهو يضمّها إليه ، قائلا :

ـ رجال الأمن عندكم اضطرونى لهذا ؛ فلقد منعونى من الدخول ، بحجة أننى لا أحمل تصريحا بهذا ، فأردت أن ألقنهم درسا ، يثبت لهم قصور جهازهم الأمنى ، الذى يزهون به .

ضحكت ، وهى تضرب صدره بقبضتها فى دلال ، قائلة :

ـ يالك من رجل !
اقترب بوجهه منها ، وهو يهمس :
ـ هل أغضبك هذا ؟
همست فى حب :
ـ لا شىء تفعله يغضبنى يا زوجى العزيز .
ران عليهما الصمت لحظات ، غمرت خلالها رائحة الحب الحجرة ، قبل أن يندفع مساعد (مشيرة) إلى المكان فجأة ، هاتفا :
ـ كل شىء على ما يرام .. يمكننا أن نبدأ البث الآن ..
بتر عبارته بغتة ، وتضرّج وجهه بحمرة الخجل ، وهو يقول :
ـ معذرة لم أكن أعلم أن ..
ثم عاد يبتر عبارته مرة أخرى ، ويهتف فى حيرة :
ـ ولكن مهلا .. كيف دخلت إلى هنا يا سيد (أكرم) ؟
ابتعدت (مشيرة) عن زوجها ، وقالت فى حدة :
ـ لا تشغل عقلك بهذا يا فتى ، وأخبرنى .. هل أنتم مستعدون للبث ؟
أجابها بسرعة :
ـ بالتأكيد أيتها الرئيس .

أشارت إليه ، قائلة :
ـ فليكن .. اذهب إلى ستوديو البث ، وسألحق بك على الفور .
أسرع يغادر المكان ، فى حين التفتت هى إلى (أكرم) ، وقالت وهى تلتقط سترتها :
ـ معذرة يا زوجى العزيز .. أنا مضطرة لتركك بعض الوقت ، فقد عثر رجال الشرطة الليلة على جثة ممزقة فى الأطلال ، وسنذيع الخبر الآن .
انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يهتف :
ـ اللعنة !.. هل التهم ذلك الوغد ضحية جديدة ؟
حدّقت فى وجهه بدهشة ، قبل أن تقول :
ـ ذلك الوغد ؟!.. إذن فأنت تعلم شيئا عن هذا .
بدا عليه الضيق ، وهو يجيب :
ـ كلا .. إنه مجرّد قول .
ثم اتجه إلى الباب ، مستطردا فى شىء من العصبية :
ـ أعتقد أننى سأنصرف أيضا ، فالمقدم (نور) ينتظرنى ، و ..
قاطعته فى حدة :
ـ (أكرم) .. لا تحاول الهرب .

التفت إليها ، قائلا فى عصبية :

ـ أنا لا أهرب أبدا .

صاحت :

ـ ولكنك تعرف شيئا .

أشاح بوجهه دون أن يجيب ، فهتفت :

ـ آه .. فهمت .. كيف لم أستنتج هذا مباشرة ؟!.. أنت و (نور) تعملان فى هذه القضية .. أليس كذلك ؟

زفر فى حدة ، وقال :

ـ إلى اللقاء يا (مشيرة) .. اذهبى إلى عملك ، ودعينى أواصل عملى .

ثم اندفع يغادر المكان فى خطوات سريعة ، تاركًا إياها خلفه ، تهتف فى حنق :

ـ لن يمكنكما إخفاء الأمر عن الصحافة .

تابعته ببصرها حتى اختفى ، ثم قالت لنفسها فى عصبية :

ـ هذا ما كنت أخشاه .. لقد التحق بذلك العمل ، وبدأ يخفى عنى أسراره .

مطت شفتيها فى حنق ، ثم استدارت إلى حجرتها ..

وانتفض جسدها كله فى عنف وذهول ..

لقد رأت (أكرم) ينصرف منذ لحظات ، وها هى

ذى الآن تجده واقفا أمامها ، فى منتصف الحجرة ..

ولكن مهلا ..

ذلك الواقف فى منتصف الحجرة ليس (أكرم) ..

تلك العينان ليست عينى (أكرم) ..

بل إنهما ليستا عينين بشريتين على الإطلاق ..

وفى نفس اللحظة التى أدرك فيها عقلها هذا ، كان ذلك الشىء يطلق فحيحا رهيبا ، و ..

وينقض ..

* * *

تنهّد مساعد (مشيرة) ، وهو يلقى نظرة على ساعته ، ويقول لرجال ستوديو النشر فى اهتمام :

ـ هيا .. استعدوا للبث ، فور وصول السيّدة الرئيس .

هزّ مسئول التصوير كتفيه ، وهو يقول فى شىء من الضجر الروتينى :

ـ كل شىء على أهبة الاستعداد .. المهم أن تنتهى هى من زينتها ، وتأتى بسرعة كافية :

عقد المساعد حاجبيه ، وهو يقول :

ـ أنت تعلم مثلى أنها لا تضيع الوقت فى وضع زينتها ، وأنها ..

قاطعته فجأة صرخة رهيبة ..
صرخة رعب هائلة ، ارتجت لها أروقة المبنى كله .. صرخة تحمل صوت السيدة رئيس (أنباء الفيديو) .. صوت (مشيرة محفوظ) ..
ووثب مسئول التصوير من مكانه ، هاتفا :
ـ رباه .. ماذا يحدث هنا ؟
ارتجف صوت المساعد ، وهو يقول :
ـ لست .. لست أدرى .. لقد تركتها مع زوجها السيد (أكرم) ، و ..
قاطعه مسئول التصوير ، وهو يعدو نحو حجرة (مشيرة) ، هاتفا :
ـ وهل سننتظر هنا لمناقشة الأمر ؟
ارتبك المساعد لحظة ، ثم اندفع خلفه ، قائلا :
ـ كلا بالطبع .
لم يكن أحدهما يدرك ، أو يمكنه أن يدرك ، وهما يندفعان نحو حجرة (مشيرة) ، ما يمكن أن يواجههما هناك ..
بل ولم يكن من الممكن أبدا أن يستوعب أحدهما ما حدث منذ دقيقة واحدة ، فى تلك الحجرة ..
لقد فوجئت (مشيرة) بنفسها أمام ذلك الوحش ،

الذى أطلق فحيحه المخيف ، ثم أنقض عليها فى وحشية ، وهو يتخلى عن هيئة (أكرم) ، ويعود إلى هيئته الطبيعية الرهيبة ..
وكان من الطبيعى أن تنغرس أنيابه فى عنقها ، أو تغوص مخالبه فى جسدها ، ولكنها أفلتت من كليهما .
لقد وثبت جانبا بحركة غريزية ، دفعها إليها حبها للبقاء ، وسمعت ذلك الفحيح المخيف فى أذنها اليسرى مباشرة ، والوحش يتجاوزها بقفزته ، فأطلقت صرخة الرعب القوية ، التى ترددت فى المبنى ، ثم دفعت كل خوفها وذعرها ، ورغبتها فى النجاة إلى ساقيها ، وانطلقت تعدو بكل قوتها ، فى محاولة للفرار من المكان ، فأطلق الوحش فحيحا غاضبا ، وانطلق خلفها ..
ولم تدر (مشيرة) كيف أمكنها أن تعدو بهذه السرعة !..
إنها لم تتصور حتى أن باستطاعتها هذا ..
ولكن يبدو أن الرعب الذى امتلأ به كيانها ، وسرى فى عروقها ، قد بث فيها قوة إضافية ، فجرت كل طاقتها وقدرتها ، فانطلقت تعدو كما لو كانت مجرد آلة للعدو والفرار ..

وعندما بلغت منتصف الممر ، وجدت أمامها مساعدها ، ومسئول التصوير ، وهما يهتفان بها :

ــ ماذا حدث ؟!.. لماذا هذه الصرخة الرهيبة ؟

صرخت بهما :

ــ ابتعدا .. تراجعا .. ذلك الشيء يطاردني .

والواقع أنها لم تكن بحاجة إلى إتمام عبارتها حتى النهاية ، فلم تكد تبلغ منتصفها ، حتى كان الرجلان قد أبصرا ذلك الوحش الرهيب ، الذى يطاردها ، فاتسعت عيونهما فى ذهول ورعب ، وانعقد لسان مساعدها تماما ، فى حين هتف مسئول التصوير فى ارتياع :

ــ ما هذا الشيء ؟

تجاوزتهما (مشيرة) ، وهى تصرخ :

ــ لا تتساءلا .. اهربا فحسب .

اندفعت نحو ستوديو النشر فى نفس اللحظة التى بلغ فيها الوحش موضع الرجلين ، فأطلق فحيحه المخيف ، وضرب صدر مساعدها بقبضته ، فألقاه مترين إلى الخلف ، وضرب الجدار بجسده ، فسقط المسكين أرضًا ، وهو يتأوّه فى ألم شديد ، ويمسك ضلوعه المحطّمة فى ارتياع ، فى حين تراجع مسئول التصوير ، وهو يهتف :

ــ لا .. لا تقترب منى .. لا تلمسنى .

ولكن المخالب الحادة ضربت وجهه ، ومزّقت لحمه ، فصرخ فى ألم ، وتراجع أمام الوحش ، الذى واصل اندفاعه نحو ستوديو النشر ، فصرخت (مشيرة) فى رعب ، وحاولت الفرار إلى أى مكان ، وهى تهتف :

ــ ابتعد عنى .. ابتعد عنى .

ولكن الوحش ضرب الباب بقدمه فى عنف ، وأغلق ستوديو النشر عليهما ، وبرقت عيناه فى ظفر واضح ، وهو يتجه نحوها ، فانتفض جسدها كله ، وهى تصرخ فى انهيار :

ــ لا تفعل بى هذا .. أرجوك .. لماذا أنا ؟ .. لماذا أنا بالذات ؟

لم يكن لديها مهرب واحد من الأمر كله ، سوى أن تلقى بنفسها من النافذة ، من ارتفاع أربعة طوابق ، أو تستسلم لمخالب وأنياب ذلك الوحش ..

والعجيب أنها اختارت القفز من النافذة ، فدفعت مزلاجها ، وهتفت :

ــ سألقى نفسى من هنا .. هل تفهم ؟

ولكن الوحش وثب نحوها بغتة ، فصرخت متراجعة ، وأدركت بعد فوات الأوان أنه يبعدها عن النافذة ،

وتراجع أمام الوحش ، الذى واصل اندفاعه نحو ستوديو النشر ، فصرخت (مشيرة) فى رعب ..

ويسعى لمحاصرتها فى الركن ، بحيث لا يعود هناك مفر من مخالبه وأنيابه ، فانهارت هاتفة :

ـ أيها الوغد .. أيها الحقير .

وانفجرت دموع اليأس من عينيها ، وهى تخفى وجهها بكفيها ، وتتوقع النهاية فى أية لحظة ..

وأطلق الوحش فحيحه ، والتمعت أنيابه تحت الأضواء ، وبرزت مخالبه الحادة ، و ..

ولم يعد هناك ما يفصله عن فريسته الجديدة ..

* * *

٨ ـ أين ؟..

تنهدت (هناء) فى إرهاق . وهى تفرك عينيها ، وتشير إلى شاشة الكمبيوتر . قائلة فى خفوت :

ـ نفس النتيجة السابقة .

تطلّع (نور) إلى المعلومات المدونة على الشاشة ، وهزّ رأسه متفهمًا ، وهو يقول فى اهتمام :

ـ إذن فأفضل مكمن لذلك الوحش ، هو أطلال (القاهرة) القديمة ..

أشارت (هناء) بيدها ، قائلة :

ـ إنها نتيجة منطقية للغاية ، وكل الدلائل تشير إليها ، فكل الضحايا التى افترسها تقيم حول الأطلال ، أو على مقربة منها ، وهناك عثرنا عليه فى المرة الأولى ، كما أن الجزء الوحشى من تركيبه ، سيدفعه حتمًا للكمون فى مناطق مقفرة ومظلمة .

حكّ (نور) ذقنه ، وهو يقول :

ـ ولكن هذا يبدو منطقيًا إلى حدّ مقلق .

اعتدلت تسأله فى حيرة :

ـ ماذا تعنى بقولك هذا ؟

صمت لحظات ، وهو يفكر فى عمق ، قبل أن يقول :

ـ أعنى أنه من المفروض أننا نواجه خصمًا وحشيًا ، يتمتّع بذكاء خارق إلى حد كبير ، ومن المؤكد أن هذا الذكاء سيجعله يدرك أن الأطلال هى أوّل مكان ينبغى لنا البحث عنه فيه ، خاصة وأنكم قد اشتبكتم معه هناك بالفعل ، لذا فمن الطبيعى أن ينتقل إلى مكان آخر .

قالت فى اهتمام :

ـ ولكنه افترس ضحيته الأخيرة ، منذ بضع ساعات ، فى نفس المنطقة .

لم يبد عليه الاقتناع ، وهو يفكر مرة أخرى فى عمق ، ويتمتم :

ـ وهذا ما يثير حيرتى .

تطلّعت إليه (هناء) طويلاً ، وهو غارق فى تفكيره ، ثم غمغمت فى خفوت ، وكأنها تخشى أن تفسد تسلسل أفكاره :

ـ لا تنس أنه ليس بشريًا خالصًا .

التفت إليها فى هدوء ، قائلاً :

ـ إنه ليس بشريًا على الإطلاق .

قالت فى دهشة :

- ولكن تركيبه الجينى يحمل بعض الصفات البشرية .

هز رأسه ، قائلا :

- مطلقا .. الشىء الوحيد الذى أوحى لكم بهذا ، هو درجة الذكاء العالية التى يتمتع بها ، ولكنه فى حقيقة الأمر مجرد وحش مفترس .. حرباء أفسد العلماء طبيعتها ، وحولوها إلى مسخ مجنون ، متعطش للدماء .

قالت معترضة :

- وماذا عن حجمها ؟

أجاب فى هدوء :

- الحجم صفة يمكن الحصول عليها من أى كائن آخر .. الغوريلا مثلا (*) ، أو بعض أنواع الشمبانزى (**) ، وليست صفة بشرية بالضرورة .

سألته فى اهتمام :

- هل تعتقد أن العلماء قد أخطئوا ، عندما عملوا على إنتاج هذا الكائن ؟

(*) الغوريلا : أحد القردة العليا الشبيهة بالإنسان ، تستوطن المنطقة الغربية من (أفريقيا) الاستوائية ، وهى أضخم القردة العليا ، وعلى الرغم من بشاعتها ، إلا أنها تتغذى بالمواد النباتية فحسب .

(**) الشمبانزى : من القردة العليا الشبيهة بالإنسان ، موطنه وسط وغرب (أفريقيا) ، وهو أكثر القردة العليا ذكاء وقابلية للتعليم .

أجاب فى حسم :

- بالتأكيد :

اعتدلت قائلة فى تحد :

- وماذا لو أن ذلك الكائن جاء مطابقًا للمواصفات المطلوبة ؟.. هل كنت ستعتبرهم عباقرة حينذاك ؟

ابتسم فى شىء من الإشفاق ، وهو يقول :

- لم يكن هذا ليحدث أبدًا .

سألته فى دهشة :

- ولماذا ؟

أجابها فى هدوء واثق :

- لأن الله (سبحانه وتعالى) وحده ، هو القادر على خلق كائنات مطابقة لكل المواصفات المنشودة ، حتى وإن بدت بها بعض الأمور غير المألوفة ، كالشفة الأرنبية (*) ، أو نقص أحد الأطراف ، أو حتى التشوهات الجنينية ، أما ما يفعله هؤلاء العلماء ، وهو لن يرقى قط إلى مرتبة الخلق ، ولا حتى إلى

(*) الشفة الأرنبية : أحد أنواع نقص التكوين داخل الرحم ، وفيه لا يتم التحام طرفى الشفة العليا ، وقد يمتد هذا إلى سقف الحلق ، بحيث يبدو وجه الطفل أشبه بالأرنب ، ويمكن علاجه جراحيًا .

واحد على ألف مليار منها ، فهو مجرد محاولة لدمج الصفات الوراثية بعضها بالبعض ، متصورين أنهم بمعرفتهم لبعض القواعد العلمية للجينات ، قد أصبحوا خبراء فى هذا المجال ، ولأن الحقيقة هى أنهم لم يستوعبوا بعد ولا واحد فى المليون فى حقائق الحياة ، فالنتائج التى يتوصلون إليها لا تبلغ قط المرتبة التى ينشدونها .. بل ومن المعتاد أن تفاجئهم نتائج عجيبة ، لم يتوقعوا مثلها قط .

أومأت برأسها موافقة ، وهو تتمتم :

ـ أنت على حق ، وذلك الذى نحن بصدده أكبر دليل على هذا .

ثم استطردت بصوت حاسم :

ـ ولكن هذا لا يتعارض مع ما توصلت إليه من نتائج .

قال فى بساطة :

ـ أتعنين بالنسبة لمكمنه ؟

قالت فى إصرار :

ـ نعم .. انا واثقة من أنه يتخذ الأطلال القديمة وكرًا له .

صمت (نور) لحظات قصار ، قبل أن يقول :

ـ هذا شىء يمكن التأكد منه .

وضغط أزرار هاتف الفيديو المجاور له ، وهو يستطرد فى حزم :

ـ وبأقل قدر من الخسارة .

ولم تفهم (هناء) ما يقصده ..

لم تفهم مباشرة ..

* * *

لم تكن هناك سوى شعرة واحدة ، تفصل (مشيرة) عن الموت ..

إنها وحدها داخل ستوديو النشر المغلق ، فى مواجهة وحش مخيف ، يطلق فحيحًا مفزعًا ، ويتطلع إليها بعينين مشقوقتين طوليًا كعيون الثعابين ، تتألق فيهما شراسة لا حدود لها ، تمتزج بأنيابه الحادة ، ومخالبه المتأهبة لسفك دمائها ..

ولكن فجأة ، دوت تلك الرصاصات ..

رصاصات تقليدية ، اخترقت باب ستوديو النشر ، وحطمت رتاجه ، قبل أن تضربه قدم قوية ، فتفتحه فى عنف ..

واستدار الوحش ليواجه ذلك القادم الجديد ، وهو يطلق فحيحه الوحشى المخيف ، فى حين خفق قلب

(مشيرة) فى عنف ، وكاد يقفز من صدرها ، من فرط سعادتها ، وهى تهتف :

ـ (أكرم) ..

لم تره يومًا فى صورة الفارس ، الذى يتحدّى الأهوال ، من أجل محبوبته ، كما رأته فى تلك اللحظة .

كان يقف بالباب قويًا شامخا ، انعقد حاجباه فى صرامة غاضبة ، وتصاعد الدخان من فوهة مسدسه التقليدى ، وهو يقول :

ـ أظننى وصلت فى اللحظة المناسبة .. لقد كاد قلبى يتوقّف ، وأنا أعدو عائدًا إليك ، بعد أن سمعت صرختك ، خشية أن أصل بعد فوات الأوان .

لم تدر كيف نسيت لحظتها أن ذلك الوحش ما زال يقف على مسافة نصف المتر منها ، وتمنت أن تلقى نفسها بين ذراعى زوجها ، ولكنها استعادت وعيها بالموقف ، عندما أطلق الوحش فحيحًا عصبيًا ، جعل (أكرم) يصوّب مسدسه إليه ، وهو يقول :

ـ أخيرًا التقينا وجهًا لوجه أيها الوغد ، وأعتقد أنه سيكون اللقاء الأخير .. بالنسبة لك على الأقل .

لم يكن (أكرم) يحتاج ، بعد هذا القول ، إلا للضغط على الزناد ، ليغمر ذلك الوحش برصاصاته ،

وينقذ العالم من شروره ..

ولكن الوحش لم يقف ساكنا . فى انتظار هذا ..

لقد كان (أكرم) يصوب إليه مسدسه بمنتهى الدقة . ولكن الوحش تراجع بغتة . ليقف بينه وبين (مشيرة) . ثم استطال جسده بسرعة . وصار أشبه بثعبان طويل . يتلوى على نحو مستمر . وعيناه تتابعان حركة (أكرم) فى دقة مدهشة ..

وانعقد حاجبا (أكرم) فى حنق غاضب . وهو يحرك مسدسه يمينا ويسارا . فى محاولة للتصويب على ذلك الشىء . وهو يدرك أن سبابته لن تطاوعه على ضغط الزناد ، وهو يعلم أن أية رصاصة طائشة ستستقر حتما فى جسد زوجته ..

وفى سخط ، هتف (أكرم) :

ـ ياللسخافة ! .. ابتعدى يا (مشيرة) .

ولكنه لم يكد يُطلق هتافه ، حتى اندفع ذلك الجسد الثعبانى نحو النافذة ، واخترقها بدوى عنيف ، واختفى خارجها ..

ولثانية أو يزيد ، وقف (أكرم) جامدا ، يحدق فى النافذة المكسورة بغضب شديد ، ثم لم يلبث أن اندفع نحوها ، هاتفا :

ـ لقد ذهب ذلك الوغد .. نجح فى الفرار مرة أخرى .

وهنا شهقت (مشيرة) ، هاتفة بصوت مختنق :

ـ هذا أفضل .

استدار إليها (أكرم) ، واختفت تلك النبرة الساخطة الغاضبة فى صوته بغتة ، ليحل مخلها مزيج من اللهفة والحنان ، وهو يسألها :

ـ أأنت بخير ؟!

ألقت نفسها بين ذراعيه ، وهى تقول فى حرارة :

ـ وكيف لا أكون كذلك ، وأنت تحمينى طوال الوقت ؟

ضمها إليه لحظات فى حنان ، لتفرغ انفعالها فى عروقه ، فرفعت عينيها إليه ، تسأله :

ـ كيف عدت إلى هنا ؟

ابتسم ابتسامة باهتة ، وهو يجيب :

ـ كنت أهم بركوب سيارتى ، عندما تناهت إلى مسامعى صرختك الهلعة ، ولم أدر بعدها إلا وأنا هنا .

قالت فى سعادة :

ـ هذا هو فارسى الذى أحببته ، وتزوجته .

كانت تتوقع منه عبارة عاطفية حانية ، ردا على

عبارتها ، ولكنه عقد حاجبيه فى شدة ، وشرد ببصره لحظات ، فسألته فى قلق :

ـ ماذا حدث ؟

أجابها فى اقتضاب :

ـ (نور) .

لم تفهم ما يعنيه ، وأطلت من عينيها نظرة حائرة متسائلة ولكنه استطرد فى انفعال :

ـ من الضرورى أن يعرف (نور) ما حدث .

واندفع يلتقط سماعة الهاتف ، وهم بضغط أزرار الاتصال ، ثم لم يلبث أن قال فى حنق :

ـ يا للسخافة ! .. لست أعرف رقم خبيرة الأحياء هذه ، ومن المؤكد أننى لن أعثر عليه فى الدليل الإليكترونى ، لأنه رقم سرى .

وأعاد السماعة إلى موضعها ، ثم التفت إلى (مشيرة) ، قائلا فى حرارة :

ـ اسمعينى جيدا .. حاولى أن تنهى عملك هنا بأقصى سرعة ، وعودى مباشرة إلى المنزل ، وسأطالبهم بحراسة خاصة لك ، أما أنا فسأذهب إلى (نور) ، وسأتصل بك كلما سنحت الفرصة .. هل تفهمين ؟

أومأت برأسها فى توتر ، فانحنى يطبع قبلة متعجلة على جبينها ، واندفع يغادر المكان ، وهو يهتف بها :

ـ لا تتهاونى فى الحفاظ على حياتك .. لن يمكننى العيش دونك .

اختنق صوتها ، وهى تغمغم :

ـ سأحاول .

لم يسمع عبارتها الأخيرة ، وهو يندفع مغادرًا المكان ، وعقله لا يحمل سوى عبارة واحدة ، لم يعد يتردَّد داخله سواها ..

لابد أن يعلم (نور) ..

لابد ..

* * *

انتشرت ثلاث فرق كاملة ، من القوات الخاصة ، حول منطقة الأطلال القديمة ، وراح أفرادها يطبقون على المكان رويدًا رويدًا ، تتقدَّمهم فرقة مسح شامل ، تستخدم أجهزة الفحص الحرارى ، والتقاط الطاقة ، والرادارات ، وكل الوسائل الممكنة ، للبحث عن ذلك الكائن المفترس ..

واستغرق الوقت ما يقرب من ساعة كاملة ، قبل

أن يتوصَّل الرجال إلى بقعة من الأطلال ، عثروا فيها على بعض الأشلاء البشرية ، والآثار التى تشف عن وجود ذلك الوحش بها ، منذ ساعات قليلة ..

وعلى الفور ، تم إبلاغ الأمر للسلطات المسئولة ..

وعلم (نور) به بعد لحظات ، فقال لـ (هناء) ، وهو يقرأ التقرير فى إمعان :

ـ لقد عثروا على وكر الوحش ، ولكنهم لم يعثروا على الوحش نفسه .

مطّت شفتيها فى أسف ، وهى تقول :

ـ ياللخسارة

أومأ برأسه ، وهو يقول :

ـ على الأقل تأكدنا من صحة استنتاجاتك ، الخاصة بأنماطه السلوكية .

أشارت بسبَّابتها ، قائلة :

ـ ولكننا خسرنا الكثير .

بدا عليه القلق ، وهو يسألها :

ـ كيف ؟

تنهدت فى عمق ، قبل أن تقول :

ـ الفائدة الوحيدة ، التى كان من الممكن أن تعود علينا ، من هذا الإجراء ، هى أن نعثر على الوحش

نفسه هناك ، فتكشف فرقة المسح الشامل موقعه ، مهما تنكر ، أو بدّل من هيئته ، ثم تنقض عليه فرق القوات الخاصة ، فتمزّقه إربا ، ولكن الذى حدث هو أنهم عثروا فقط على مكمنه ، ولكنه أفلت من أيديهم ، وكائن يمتلك مثل ذكائه ، سيدرك على الفور أنه لم يعد من الممكن أن يعود إلى ذلك المكان ثانية ، وسيبحث عن مخبأ آخر ، يتعذر علينا العثور عليه فيه .

سألها (نور) :

ـ لماذا إذن عاد إلى الأطلال ، على الرغم من ثقته بأنكم تعلمون موقعه فيها ؟

أجابته :

ـ لأن ذكاءه أنبأه أننا لن نتوقّع عودته إلى نفس المكان ، الذى عثرنا عليه فيه فى المرة الأولى .

قال (نور) ، وهو يفكر فى عمق :

ـ أو لأنه مضطر للعودة إليها .

قالت فى حيرة :

ـ وما الذى يضطره إلى هذا ؟

هزّ كتفيه ، قائلا :

ـ من يدرى ؟

ثم اكتسى صوته بنبرة حاسمة ، مع استطرادته :

ـ ولكننا سنجد الجواب الآن .

سألته فى اهتمام :

ـ هل تعنى أنك تعمدت هذا ؟

أجاب فى حزم :

ـ بالتأكيد ، فما فعلناه الآن يعنى أننا نصر على فحص تلك الأطلال ، وتفتيشها باستمرار ، وأنها صارت منطقة خطر بالنسبة إليه ، ولو أنه ذهب إليها ، بعد كل هذا ، فسيعنى هذا حتما أن هناك ما يضطره للعودة إليها ، وسيصبح كل ما علينا عندئذ ، هو أن نعلم ما يضطره إلى هذا ، ونضرب ضربتنا من تلك الناحية .

بدا عليها الاقتناع ، وهى تقول :

ـ خطة معقولة ، ولكن هل سنظل ساكنين هنا ، حتى نتأكد من هذا ؟

هزّ رأسه نفيا ، وهو يجيب :

ـ مطلقا ، فلدينا الكثير لنفعله ، (أكرم) وأنا ، والمفروض أن نبدأ على الفور .

ثم ألقى نظرة على ساعة يده ، قبل أن يستطرد :

ـ عندما يصل (أكرم) .

لم يكن يعلم ، وهو ينطق هذه العبارة ، أن (أكرم)

يندفع مغادرا مبنى (أبناء الفيديو) . فى هذه اللحظة بالذات . ويثب داخل سيارته . ويدير محركها ، و ...

وفجأة . انتبه (أكرم) إلى أن المقعد المجاور له ، لا يبدو فى صورته الطبيعية .

إنه أكبر حجما . وأكثر امتلاء .

وبغتة . أدرك ما يعنيه هذا ..

أدركه عندما تموج المقعد بغتة ، ثم برز على نحو عجيب . ليستعيد هيئته الحقيقية ..

هيئة الوحش .

* * *

٩ ـ أوامر عليا ..

فركت الدكتورة (نرمين) كفيها فى عصبية شديدة ، وهى تجلس داخل سيارتها الرياضية الحديثة ، إلى جوار الحديقة التذكارية الكبيرة ، عند أطراف (القاهرة الجديدة) ، فى ذلك الوقت المبكر ، وراحت تلقى نظرة تلو الأخرى ، على ساعة يدها ، ثم تتلفت حولها فى توتر بالغ ، ثم لم تلبث أن انتفضت فى مقعدها ، وسرت فى جسدها قشعريرة باردة مؤلمة ، عندما التقط بصرها سيارة كبيرة سوداء ، اقتربت من المكان بسرعة كبيرة ، وتوقفت على قيد أمتار قليلة منها ، بزجاجها المعتم ، الذى يحجب منْ داخلها تماما ، ورقمها الفردى ، الذى يحمل فوقه اسم (وزارة الدفاع) ..

وفى صمت ، توقفت السيارة ، دون أن تبدو منها لمحة واحدة ، تشير إلى أن من بداخلها يفكر ولو مجرد فكرة فى مغادرتها ، فزفرت الدكتورة (نرمين) فى توتر شديد ، ودفعت باب سيارتها فى حدة ، وتحركت فى خطوات عصبية نحو السيارة ، وتوقفت أمامها ، قائلة :

— حسن .. هل يمكننا أن نتحدث ؟

انفتح باب السيارة المجاور لها ، فى هذه اللحظة ، وارتفع من داخلها صوت هادئ حازم ، يقول :

— تفضلى يا دكتورة (نرمين) .

دلفت السيدة إلى السيارة ، وأغلقت بابها خلفها ، وجلست لحظات صامتة ، إلى جوار راكبها ذى الزى الرسمى ، والرتبة الضخمة ، الذى لم ينطق بحرف واحد ، وهو يرمقها بنظرة صارمة ، جعلتها تزدرد لعابها فى صعوبة ، وتغمغم :

— إننى أشعر بالخوف .

سألها الرجل فى شىء من البرود ، يحمل رنة قاسية :

— لماذا ؟

أجابته فى عصبية :

— ألا ترى أن الموقف يدعو للخوف ؟! .. لقد قتلتم الدكتور (خالد) ، وافترس ذلك الكائن الدكتور (هيثم) ، ولم يعد هناك سواى .. ألا يستحق هذا أن أخاف .

سألها بنفس اللهجة :

— هل تظنين أننا سنسعى لقتلك ؟!

هتفت محتدة :

— ولم لا ؟! .. من الواضح أنكم تتخلصون من كل من شارك فى إنتاج ذلك الشىء ، وكل من يعرف تركيبه الجينى الحقيقى ، فلماذا تبقون علىّ .

قال فى لهجة توحى باللامبالاة :

— الجميع يعلمون الآن أنك لم تشاركى فى إنتاج الحرباء البشرية ، ولن يوجه إليك أحدهم تهمة واحدة .

ازدادت درجة حدتها ، وهى تقول :

— ربما كان هذا صحيحًا ، فى الأوراق الرسمية ، ولكن من أدراك أنهم لا يراقبوننى سرًا الآن ؟. أنت تعلم أننى رفضت المشاركة فى تلك الجريمة ، ولكن هذا لا يعفينى من المسئولية ، مادمت كنت أعلم ما تسعون لإنتاجه ، ولم أفتح فمى بحرف واحد .

انعقد حاجباه فى غضب ، وهو يقول مستنكرًا :

— جريمة ؟!

ارتبكت وهى تقول :

— لم أكن أقصد هذا المعنى .. لقد أفلتت منى الكلمة عشوائيًا .. كنت أقصد تلك التجربة .

قال فى صرامة عنيفة :

— إنها ليست مجرد تجربة أيتها العالمة .. إنها فتح جديد فى عالم التسليح والقوة .. أخطر سلاح

أنتجته دولة حتى الآن .. المقاتل الذى لا يُقهر ... حرباء بشرية مفترسة وذكية ، يمكن توجيهها لتدمير الأعداء ، دون أن يملكوا مقاومتها .

قالت متوترة :

ـ لست أرى أعداءً يتساقطون يا سيدى .. كل ما أراه مجرد ضحايا مساكين ، يفترسهم ذلك الوحش غيلة وغدرًا ، ويلتهمهم فى شراهة مخيفة .. إنكم لم تصنعوا سلاحًا يا سيدى .. لقد أنتجتم كارثة .

أطلق ضحكة عصبية ساخرة ، قبل أن يقول :

ـ كارثة !.. هكذا أنتم أيها المدنيون .. تخشون على أرواح بضع عشرات من البشر ، وتتجاهلون الآلاف الأخرى التى يُمكن إنقاذها ، مع كل سلاح جديد ، نتفوّق فيه على العدو .

قالت فى عصبية :

ـ ولكن هذا السلاح الأخير انقلب عليكم ، ولم يعد باستطاعتكم إيقافه أو ردعه ، أو ..

قاطعها ، وهو يشير إلى وجهها بسبّابته فى صرامة :

ـ خطأ .. أنت تعلمين أننا نسيطر على الحرباء تمامًا .. وهى أيضًا تعلم هذا ، ولن يمكنها أن تتمرَّد علينا قط .

ارتجف جسدها كله ، وهى تغمغم فى مرارة :

ـ وماذا عنى أنا ؟ ..من ينقذنى من الوحش ، لو قررَّ أن يقضى علىّ ؟

صمت لحظات ، وهو يعقد حاجبيه فى صرامة ، قبل أن يجيب :

ـ غادرى البلاد .

هتفت فى دهشة :

ـ ماذا ؟

أجاب فى صرامة أكثر :

ـ قلت لك غادرى البلاد .. سافرى إلى (أوروبا) ، أو إلى (أمريكا) ، واقضى هناك بعض الوقت ، حتى نحسم الأمر هنا .

ازدردت لعابها فى توتر ، وغمغمت :

ـ نعم .. أعتقد أنه ليس أمامى سوى هذا .

مطّ شفتيه ، وقال فى صرامة :

ـ هذا صحيح .. إلا اللقاء يا دكتورة (نرمين) .. اتصلى بنا فور عودتك .

كان هذا يعنى أن اللقاء قد انتهى ، فغادرت السيارة فى صمت ، ووقفت تراقبها وهى تبتعد ، وقلبها يخفق فى عنف ، وعقلها يصرخ فى صمت .

نعم .. لابد من الفرار ..

لابد ..

* * *

لثانية أو يزيد ، توقف الزمن تمامًا ، بالنسبة لـ (أكرم) ..

كان يجلس داخل سيارته القديمة ، ويحدق فى واحد من أبشع الوجوه ، التى رآها فى حياته كلها ، ويدرك جيدًا أن صاحب هذا الوجه ، وذلك الجسد المخيف ، أتى إلى المكان لهدف واحد ..

أن يقتله ..

قل لى أنت .. ماذا كنت تفعل ، لو أنك فى موضعه ؟!.

فى رأيى أن أى شخص ، يشاهد مقعد سيارته ، وهو يتحول أمام عينيه إلى وحش كاسر رهيب ، سيصاب حتمًا بحالة من الرعب ، تشل أطرافه وتفكيره ، وتجعله فريسة سهلة للوحش ..

ولكن (أكرم) يختلف ..

حتمًا يختلف .

ربما لأنه اعتاد التعايش مع الخطر ومواجهته ، فى تلك الفترة السوداء من تاريخ كوكب الأرض ، بعد أن

انفجرت فيه قنبلة (جاما) (*)

أو لأن قدراته الطبيعية تفوق قدرات أى شخص عادى ..

أو للعاملين معًا ..

المهم أنه يختلف ..

ولقد ظهر ذلك الاختلاف فى رد الفعل السريع ، الذى أتى به (أكرم) ، عندما أطلق الوحش فى وجهه فحيحه المخيف ، فقد تراجع فى سرعة ، وهو يهتف :

ـ خدعة ماهرة أيها الوغد .

اندفع الوحش نحوه ، ودفع مخالبه فى صدره ، ولكن (أكرم) دفع باب سيارته القديمة ، ووثب خارجًا ، وهو يستل مسدسه ..

وأصابت المخالب الحادة صدر (أكرم) ، ودفعته خارج السيارة بعنف أكثر ، وشعر بقميصه وسترته يتمزقان ، وبآلام حادة فى صدره ، الذى غمرته الدماء ، ولكن هذا لم يمنعه من أن يطلق رصاصات مسدسه ..

(*) راجع قصة (رمز القوة) .. المغامرة رقم (٨١) .

وبآلام حادة فى صدره ، الذى غمرته الدماء ، ولكن هذا لم يمنعه من أن يطلق رصاصات مسدسه ..

وأطلق الوحش فحيحا رهيبا ، عندما اخترقت إحدى الرصاصات جسده ، ويبدو أن الألم قد أقنعه على الفور بالكف عن مواصلة الهجوم ، فتراجع من الباب المقابل ، وقفز أرضا ..

واختفى ..

نعم .. اختفى ، ولم يعد (أكرم) يراه ..

كان يتوقع رؤيته وهو يعدو ، مبتعدا عن السيارة ، التى حجبته عنه لحظات ، واستعد لإطلاق النار عليه ، ولكن الوحش لم يخرج من خلف السيارة ..

لقد اختفى هناك ..

اختفى تماما ..

وبعد نصف دقيقة من الانتظار ، بدت وكأنها دهر كامل ، تحرك (أكرم) نحو السيارة فى حذر ، وهو يمسك مسدسه فى قوة ، ودار حول مقدمتها ، وتطلع خلفها فى حيرة ، مغمغما :

ـ أين ذهب هذا الوغد ؟!

كان يشعر بتوتر حقيقى ، بسبب ذلك الأسلوب العجيب ، الذى اختفى به الوحش ، فتلفت حوله فى عصبية ، وقد بدا له أن أى شىء حوله ، يمكن أن يكون ذلك الوحش متحورا ..

أسفلت الطريق ..

الجدران ..

وحتى أجزاء سيارته نفسها ..

وفى حدة ، راح (أكرم) يطلق النار على كل هذا ..

على الأرض ، والجدران ..

ثم ارتفع صوت صارم يصرخ :

ـ قف يا هذا ، وإلا أطلقنا النار .

وعندما استدار يواجه مصدر الصوت ، كانت هناك خمسة مسدسات مصوبة إليه ، وخلف كل منها رجل شرطة متوتر ومتحفز ، وكبيرهم يهتف به :

ـ ألق مسدسك .. هيا .

رفع (أكرم) ذراعيه ، وهو يقول متوترًا :

ـ لا داعى لأن نتقاتل .. نحن نعمل فى فريق واحد .. أنا (أكرم) ، من جهاز المخابرات العلمية .

بدا الشك على وجوه رجال الشرطة الخمسة ، وقال كبيرهم فى صرامة :

ـ ألق سلاحك أولا ، ثم أبرز هويتك :

ألقى (أكرم) مسدسه ، وهو يقول :

ـ ها هوذا ، وإن كنت واثقا من أن هذا هو أسخف ما يمكن فعله ، فى هذه اللحظة ، فهناك وحش طليق ، يمكنه أن يفترسنا جميعا ، لو أننا أوليناه ظهورنا .

اقترب منه رجال الشرطة فى حذر ، وهم يصوبون إليه مسدساتهم ، فى نفس اللحظة التى وصلت فيها سيارة شرطة أخرى ، هبط منها خمسة آخرون ، وبدا المكان مكتظًا برجال الشرطة ، ورجال أمن مبنى أنباء الفيديو ، والجميع يحيطون بـ (أكرم) ، الذى انعقد حاجباه فى حنق غاضب ، وعيناه تواصلان البحث عن ذلك الوحش الذى اختفى ..

كل هذا ، دون أن ينتبه مخلوق واحد إلى تلك القطعة من الأسفلت ، أسفل سيارة (أكرم) ، والتى راحت تتموج فى بطء ، ثم لم تلبث أن تحولت إلى رجل شرطة إضافى ، برز من أسفل السيارة فى هدوء ، وألقى نظرة طويلة على ذلك الجمع ، بعينيه المشقوقتين طوليًا ، ثم سار مبتعدًا فى خطوات سريعة ، مغادرًا المنطقة كلها ..

وفى اللحظة الأخيرة ، وقبل أن يختفى ذلك الشرطى الزائف عند الناصية ، انتبه إليه (أكرم) ، وأدرك ماهيته على الفور ، فصاح محاولا الاندفاع نحوه :

ـ ها هوذا .. الحقوا به .. لا تسمحوا له بالفرار .

ولكن رجال الشرطة تصوروا أنها محاولة من

(أكرم) للهرب . فانقضوا عليه وحالوا بينه وبين الاندفاع خلف الوحش ، وهو يصرخ :

ـ أيها الأغبياء .. إنكم تسمحون له بالفرار .. اتركونى .. اتركونى ..

وكان آخر ما رآه من الوحش هو تلك اللحظة ، التى استدار إليه فيها ، فى نهاية الشارع ، وألقى عليه نظرة ساخرة ، بعينيه المشقوقتين طوليًا ، قبل أن ينحرف يمينًا ، ويختفى ..

وتحت سمع وبصر الجميع ..

* * *

استغرقت الخبيرة البيولوجية فى نوم عميق ، فى الحجرة الملحقة بمركز البحث ، فى حين راح (نور) يراجع البيانات والنتائج ، التى تم التوصل إليها ، قبل أن يفرك عينيه فى إرهاق ، ويلقى نظرة عبر النافذة ، على قرص الشمس ، الذى ارتفع عن الأفق ، ويغمغم متهالكًا :

ـ كانت (هناء) على حق .. الأمر ليس سهلًا أبدًا .

استرخى لحظات فى مقعده ، وأغلق عينيه قليلًا ، ولكن عقله أبى أن يستسلم للنوم ، وراح يدرس ويراجع كل التفاصيل والوثائق ، فزفر (نور) فى توتر ، وعاد يفتح عينيه ، قائلًا لنفسه :

ـ لا أمل .. أعلم هذا .

حاول أن يتطلع إلى البيانات ثانية ، ولكن عقله لم يستطع استيعاب المزيد ، فألقى نظرة على ساعته ، ثم التقط سماعة الهاتف ، وضغط أزراره ، وانتظر لحظات حتى سمع صوت زوجته (سلوى) على الطرف الآخر ، ورأى وجهها على شاشة الهاتف ، وهى تهتف :

ـ (نور) .. صباح الخير .. كيف حالك ؟.. تبدو مرهقًا للغاية .

ابتسم وهو يقول :

ـ هذا أمر طبيعى يا عزيزتى .. إنها واحدة من مهماتنا التقليدية .. هل نسيت هذا ؟

بدا عليها الأسى ، وهى تقول :

ـ كم يؤسفنى أننى لا أستطيع مشاركتك هذه المرة يا (نور) .

كان يدرك مدى ما تشعر به ، وهى مضطرة للبقاء فى منزلها ، بسبب حالة الحمل غير المستقرة لديها ، فى حين ينهمك هو حتى النخاع ، فى واحدة من عمليات المخابرات العلمية ، التى طالما شاركته إياها ، لذا فقد قال بسرعة ، محولًا تغيير دفة الحديث :

ـ لقد اشتقت كثيرًا لرؤيتك ، ولما كنت أعلم أنك تستيقظين عادة مع شروق الشمس ، فقد اتصلت بك ، لأمتع عينىْ برؤيتك .

ابتهجت لسماع هذا القول ، وقالت فى حنان :

ـ اشتياقك لرؤيتى لن يبلغ ربع اشتياقى لرؤيتك يا (نور) ، ولكننى كنت أفضّل أن تمهلنى بعض الوقت ، حتى أضيف بعض اللمسات الجمالية لوجهى ، قبل أن تراه على شاشة هاتف الفيديو .

ضحك وهو يقول :

ـ أنت فاتنة ، دون أية إضافات يا عزيزتى .

قالت بابتسامة حانية :

ـ يالك من زوج محب رقيق يا (نور) ! من يمكنه أن يصدّق أن ..

بترت عبارتها بغتة ، ورآها تنظر نحو النافذة فى إمعان ، فسألها :

ـ ماذا هناك ؟

استدارت إلى شاشة هاتف الفيديو ، وضحكت قائلة :

ـ لا شىء .. أغصان شجرة المانجو اهتزّت بفعل الرياح فحسب ، ولكنك تعرف ما يحدث فى أيام الحمل .

ابتسم قائلا :

ـ بالطبع .. لقد اعتدت هذا .

ارتفع حاجباها فى حنان ، وهى تقول :

ـ (نور) .. متى تعود إلى المنزل ؟

تنهّد قائلا :

ـ سريعا بإذن الله يا عزيزتى .. لقد قضيت ليلتى كلها هنا ، مع الخبيرة البيولوجية ، فى محاولة لدراسة سلوكيات الشىء الذى نطارده ، و ..

قاطعته بغتة ، فى شىء من التوتر :

ـ هل هى جميلة ؟

قال فى دهشة :

ـ ماذا ؟

أجابته بسرعة :

ـ الخبيرة البيولوجية .. أهى جميلة ؟

وجد نفسه ينفجر ضاحكا فى مرح شديد ، قبل أن يقول :

ـ هذه هى (سلوى) التى أعرفها .

ثم مال نحو الشاشة ، مستطردًا :

ـ اسمعى يا زوجتى العزيزة .. إننى أحتاج حتمًا إلى قسط من النوم ، قبل أن أواصل عملى .. ما رأيك فى أن أذهب لتقديم تقريرى إلى القائد الأعلى ، بعد ساعة واحدة ، ثم أعود لنتناول طعامنا معًا ، فى حديقة المنزل ؟

هتفت فى سعادة :

ـ هل تسألنى ؟! .. سأنتظرك على أحر من الجمر .

أنهى اتصاله بها ، وقد امتلأت نفسه بارتياح جميل ، جعله يعود للاسترخاء فى مقعده . ويسبل جفنيه ..

ولكن فجأة ، ارتفع رنين الهاتف . لينتزعه من استرخائه . فالتقط سماعته فى هدوء . ولكنه لم يكد يلمح صورة (أكرم) التى تكونت على الشاشة ، بصدره الغارق فى الدماء ، حتى قفز من مقعده ، هاتفا :

ـ (أكرم) .. أين أنت ، .. وماذا حدث ؟

أجابه (أكرم) فى عصبية :

ـ أخيرا اتصلت بك يا (نور) .. هل تعلم .. لقد اضطررت لإيقاظ الدكتور (ناظم) من نومه ، لأحصل منه على هذا الرقم السرى .

هتف (نور) :

ـ إنك لم تخبرنى أين أنت ؟.. ولا ماذا حدث ؟

قال (أكرم) محتدًا :

ـ إننى أتحدث إليك من قسم الشرطة .. هؤلاء الأغبياء هنا يرفضون تصديق قصتى ، وكل ما فعلوه هو أن أرسلوا فى استدعاء سيارة من سيارات

الإسعاف .. لقد هاجمنى ذلك الوغد يا (نور) .. انتحل هيئة مقعد سيارتى ، وهاجمنى .. هل تدرى ؟.. لقد كاد يقتلنى ، ولكننى أفلت منه ، وكدت أسحقه . ولكن رجال الشرطة ..

قاطعه (نور) فى توتر شديد :

ـ أين هاجمك يا (أكرم) ؟

أجابه محنقا :

ـ عند مبنى (أنباء الفيديو) .. يبدو أن ذلك الحقير جمع شيئا من المعلومات عنا ، وحاول قتل (مشيرة) ؛ ليمنعنا من مواصلة مطاردته ، و ..

قاطعه (نور) بصيحة هلعة ، وذهنه يسترجع حديث (سلوى) عن أغصان شجرة المانجو ، وصفا ذهنه بغتة ، ليدرك أن تلك الأغصان لن تهتز أبدًا ، فى يوم صحو هادئ الرياح كهذا ، فهتف :

ـ (سلوى) يا (أكرم) .. (سلوى) فى خطر .

وأنهى الاتصال بسرعة ، ثم حاول أن يتصل بزوجته لتحذيرها ، ولكن نظم الاتصال الآلية جعلت شاشة الهاتف تحمل عبارة موجزة تقول :

ـ تم قطع التوصيل الطرفى للخط .. لا يمكن إتمام المكالمة .

وهنا انطلق (نور) يعدو ، وهو يردد ملتاعًا :

ـ (سلوى) .. يا إلهى !.. (سلوى) .

وقفز داخل سيارته ، وانطلق بها بأقصى سرعة ، وهو يدعو الله (سبحانه وتعالى) أن يصل إليها فى الوقت المناسب ..

وقبل فوات الأوان .

* * *

١٠ ـ الضربة ..

أنهت (سلوى) حديثها الهاتفى مع زوجها ، وهى تشعر بالسعادة والارتياح ، وارتسمت على شفتيها ابتسامة هائمة ، وهى تجلس فوق أكثر مقاعد المنزل راحة ، وتتمتم :

ـ كم أشتاق إليك بالفعل يا (نور) .

أسبلت جفنيها لحظات ، قبل أن تستطرد :

ـ وإليك يا (نشوى) .

كانت مستغرقة فى نشوتها واسترخائها ، عندما انتزعها بغتة صوت الأغصان ، وهى تحتك بالنافذة ، ففتحت عينيها ، والتفتت إلى النافذة فى دهشة ، وهى تقول :

ـ عجبًا !.. إنها أول مرة يحدث فيها هذا .

ونهضت من مقعدها حائرة ، واتجهت نحو النافذة ، ووقفت على قيد متر واحد منها ، وهى تتطلع إلى ذلك الغصن الضخم ، الذى يحتك بالزجاج ، قبل أن تضيف :

ـ لست أذكر أبدًا أن الشجرة كانت قريبة إلى هذا الحد من النافذة .

ومالت برأسها قليلا إلى اليسار ، لتلقى نظرة أكثر شمولا على الشجرة ..

وفجأة ، انتفض جسدها كله دفعه واحدة ، عندما وقع بصرها على شجرة المانجو الحقيقية ، التى بدت لها فى موقعها الفعلى ، على مسافة مترين من تلك الشجرة ، التى يحتك غصنها بالزجاج .

وفى هذه اللحظة أيضا ، انتبهت إلى أن الغصن لا يتصل بشجرة حقيقية ، بل بما بدا وكأنه مقطع طولى ، أو جزء من شجرة ..

وتراجعت (سلوى) مذعورة ، وهى تهتف فى ارتياع :

ــ رباه ! .. ما هذا ؟

لم تكد تتم قولها ، حتى تلاشت معالم ذلك المقطع الطولى ، مع الغصن المتصل به ، وتحول المقطع إلى جسد وحشى مخيف ، والغصن إلى ذراع أشبه بذراع ديناصور صغير ، ولكنها تنتهى بمخالب حادة رهيبة ..

وارتجف جسد (سلوى) كله ..

ارتجفت من قمة رأسها ، وحتى أخمص قدميها ، فى نفس اللحظة التى انطلقت فيها من حلقها صرخة قوية ، تفيض بالرعب والفزع ..

وفى اللحظة ذاتها ، أطلق الوحش فحيحه الرهيب ، وأصابت قبضته زجاج النافذة ، فهشمته عن آخره ، وحدقت عيناه المخيفتان فى وجه (سلوى) ، قبل أن يثب داخل الردهة ..

وبكل قوتها ، وانفعالها ، وخوفها ، انطلقت (سلوى) تعدو ..

كان حملها يثقلها ، وذعرها يدفعها ، وجسدها يخذلها ، ولكنها بذلت قصارى جهدها ، حتى وصلت إلى المطبخ ، وحاولت التقاط سماعة الهاتف الصغير هناك ، لتستنجد بزوجها ، ففوجئت بأن أحدهم قد قطع الاتصال تماما ، فاستدارت تواجه مصيرها المخيف بوجه شاحب ، وأطراف مرتجفة مضطربة ، فى نفس اللحظة التى برز فيها الوحش عند الباب ، وهو يطلق فحيحه الرهيب ..

ولثوان ، حدق كل منهما فى عينى الآخر ، ثم كشر الوحش عن أنيابه ، وأبرز مخالبه ، واتجه إليها فى بطء ، يسبقه فحيحه الشبيه بفحيح ألف ثعبان ، فتراجعت (سلوى) أمامه فى ذعر ، حتى التصقت بالجدار ، واتسعت عيناها فى هلع ، وهو يقترب ويقترب ، ويقترب ..

ثم شعرت أصابعها بغتة بسكين من أدوات المطبخ ، فقبضت عليه ، صائحة :

ـ ابتعد عنى .

وألقت السكين نحوه بكل قوتها ، ورأته ينغرس فى ذراعه ، وسمعته يطلق فحيحًا مؤلمًا ، ولكنها لم تنتظر لتعرف تأثير هذا عليه ، وإنما اندفعت بأقصى سرعتها ، لتتجاوزه من أقصى أركان المطبخ ، وعادت تعدو فى الردهة ، ولكنه انتزع السكين من ذراعه ، واستدار إليها غاضبًا ، ثم برز من ظهره جناحان كجناحى خفاش ضخم ، ووثب يرفرف بهما عبر الردهة ، ليعترض طريقها ، قبل أن تبلغ الباب ..

وأطلقت (سلوى) صرخة رعب أخرى ، وشعرت بآلام شديدة فى بطنها ، ولكنها احتملت آلامها ، واندفعت نحو خزانة صغيرة ، تحتفظ فيها عادة بأدوات النظافة ، فقفزت داخلها ، وأغلقت بابها خلفها فى قوة ، ولكنها لم تكد تفعل ، حتى انطلقت فى أعماقها صرخة هلع وسخط ..

ما الذى فعلته بنفسها ؟!..

لقد كانت تسعى للفرار منه ، ولكنها سجنت نفسها دون أن تدرى ، وأصبحت تحت رحمته ..

الخوف دفعها إلى أكثر ردود الأفعال حماقة ..

ومن الواضح أن الوحش أيضًا أدرك هذا ، فقد كشّر

عن أنيابه فى ظفر ، وانكمش جناحاه لينطويا داخله ، وهو يتجه نحو تلك الخزانة ، ثم راح يدق عليها فى قوة ، وهو يطلق ذلك الفحيح ، و (سلوى) تصرخ داخلها فى رعب ، وآلام بطنها تتزايد وتتضاعف . وقد أضيف إليها نزيف دموى ، ضاعف من انفعالها وخوفها ..

ثم اجتمعت مشاعرها كلها فى صرخة هائلة ، ارتجت لها جدران المنزل كله ، عندما اخترقت قبضة الوحش باب الخزانة ، ومزقت مخالبه ياقة ثوبها ..

وفى حركة حادة عنيفة ، امتدت يد الوحش داخل الخزانة ، وانتزعت قبضته الرتاج من الداخل ، وألقته فى أرضية الخزانة ، ثم فتح الباب فى قوة ..

وتجمد جسد (سلوى) كله ، ومادت بها الأرض ، ودارت بها الدنيا ، وهى تقف فى مواجهة الوحش ، وعلى مسافة لا تزيد على نصف المتر .

وعندما أطلق فحيحه هذه المرة ، وجدت جسدها ينهار فى قاع الخزانة ، وسط بركة من الدماء ، وهى تطلق صرخات يائسة محبطة ، والوحش يبرز أنيابه ، وينحنى نحوها ، وشهوة القتل داخله تنمو ..

وتنمو ..

وتنمو ..

* * *

تحرك قائد القوات الخاصة فى خطوت عسكرية منتظمة ، حتى توقف أمام رجل ممشوق القوام ، صارم الملامح ، يحمل على كتفيه رتبة كبيرة ، وأدى له التحية العسكرية فى احترام شديد ، قبل أن يقول :

- فى خدمتك يا سيدى .

رمقه صاحب الرتبة الكبيرة بنظرة صارمة غاضبة ، وهو يقول :

- ما هذا الذى فعلتموه ؟ .. من أمركم بمحاصرة الأطلال القديمة ، والتنقيب فيها على هذا النحو ؟

بدا مزيج من الدهشة والحيرة ، على وجه قائد القوات الخاصة ، وهو يغمغم :

- لقد تلقينا الأمر من القائد الأعلى للمخابرات العلمية مباشرة ، والواجب يحتم علينا المبادرة بتنفيذه بأقصى سرعة .

صاح الرجل فى غضب :

- خطأ أيها اللواء .. خطأ .. كان من الضرورى أن تتصل لاستشارتى أولا ، قبل أن تقدم على هذا .

ارتفع حاجبا قائد القوات الخاصة فى دهشة بالغة ، قبل أن يقول :

- خطأ ؟!.. ولكن هذا ما يفرضه القانون يا سيدى .

صرخ الرجل فى ثورة :

- لا تحدثنى عن القانون يا هذا .. نفذ ما آمرك به فحسب .. اسحب كل قواتك من حول الأطلال ، وفورا ..

انعقد حاجبا قائد القوات الخاصة فى شدة ، وهو يقول :

- وما السبب ؟!

لوح الرجل بذراعه فى حدة ، قائلا :

- لا توجد أسباب .. ليس من حقك معرفة أى شىء .. الضرورات الأمنية تحتم هذا .

قال قائد القوات الخاصة فى صرامة :

- لن يقنعنى هذا قط يا سيدى ، فالمفروض أن أجهزة المخابرات وحدها هى القادرة على تحديد الضرورات الأمنية ، ومادام جهاز المخابرات العلمية يرغب فى محاصرة الأطلال القديمة ، فهذا يعنى أن الضرورات الأمنية تحتم هذا ، ولن يمكننى فك الحصار ، إلا بناء على أوامر الجهة التى طلبت إقامته .

تفجر غضب شياطين الأرض كلها فى وجه الرجل ، ودق بقبضته على سطح مكتبه ، صارخا :

- هل تتحدانى ؟

ضم قائد القوات الخاصة قدميه فى حزم ، وهو يقول :

— كلاً يا سيِّدى ، ولكننى أنفذ القانون ، الذى يؤكد أن الأوامر الصادرة من القائد الأعلى للمخابرات العلمية لا يجبّها سوى أمر مباشر من السيِّد رئيس الجمهورية شخصيًا ، وإلى أن أتلقَّى مثل هذا الأمر ، لن نفك الحصار قط .

ثم رفع يده بتحية عسكرية صارمة ، فى وجه الرجل المحتقن ، وهو يستطرد :

— فى خدمتك يا سيِّدى .

ودار على نحو عسكرى ، وغادر المكتب فى خطوات واسعة سريعة ، تاركًا صاحب الرتبة الكبيرة خلفه ، يكاد ينفجر غضبًا ، حتى أنه لم ينتظر انغلاق الباب ليقول فى سخط هائل :

— اللعنة !.. إنك تُفسد كل شىء .

ثم انعقد حاجباه فى شدة ، حتى كادا يمتزجان ، وهو يستطرد :

— ولذلك فمن المحتم أن تنزاح عن طريقنا .

قالها وهو يعنى كل حرف منها ..

كل حرف ..

* * *

لم تكن هناك سوى لحظة واحدة ، تفصل (سلوى) عن موت محتوم ..

لقد انحنى الوحش نحوها ، حتى غمرها بأنفاسه الكريهة ، وسال لعابه فوق أنيابه ، التى تهمّ بالتهامها ، و..

وفجأة ، ارتفع ذلك الهدير القوى ..

هدير سيارة صاروخية ، تنطلق بأقصى سرعتها ، حتى أن قائدها لم يستطع ، أو لم يحاول اجتياز بوّابة المنزل ، وإنما اقتحم سور الحديقة ، واندفع عبرها ، وهو يخفض من سرعة سيارته بقدر استطاعته ، وإن لم يستطع منعها من القفز نحو جدران المنزل نفسه ، وتحطيم جزء منها ، لتستقر مقدمتها داخل الردهة ..

وفى وحشية متوترة ، استدار الوحش ليواجه ذلك القادم الجديد ، وقد غمره غضب شرس ، بعد أن تكرّر معه الموقف ذاته ، وخسر فريسته للمرة الثانية ، قبل لحظة واحدة من الظفر بها ..

ومن السيارة ، وثب (نور) ، وهو يحمل مسدسه الليزرى ، هاتفًا :

— ابتعد يا هذا .. لا تقترب منها ..

كشّر الوحش عن أنيابه ؛ وتوتر فحيحه ، وهو يتراجع نحو المطبخ ، و (نور) يقول فى صرامة :

— لن تجد وسيلة واحدة للفرار هذه المرة .. استسلم . هذا أفضل للجميع .

وانقضّ على خزانة أدوات النظافة بكل لهفته وذعره ، ورأى زوجته فاقدة الوعى ، وسط بركة من الدماء ..

ولكن الوحش تلوى بغتة ، والتصق جسده بالجدار ، ثم زحف فوقه بسرعة مدهشة ، نحو المطبخ المفتوح .

وأطلق (نور) طلقة ليزرية نحو الوحش ، وسمع فحيحه المتألم ، قبل أن يغيب فى المطبخ تماما . فاندفع نحوه ، ولكنه لم يكد يبلغه ، حتى رأى ذلك الشىء يتحرّك صاعدا إلى أعلى ، عبر فتحة المدفأة ، ويختفى داخلها بسرعة مدهشة ، فانقضّ عليها ، وأطلق أشعة مسدسه داخلها مرة وثانية ، وثالثة ، قبل أن يغمغم :

ـ لقد أفلت ذلك الحقير .

وتوقّف لحظة ليلتقط أنفاسه ، ثم اندفع عائدًا إلى الردهة ، ليهتف :

ـ (سلوى) .. أين أنت ؟.. أأنت بخير ؟

وهبط قلبه بين قدميه ، عندما لم يسمع منها جوابًا ، وانقضّ على خزانة أدوات النظافة بكل لهفته وذعره ، ورأى زوجته فاقدة الوعى ، وسط بركة من الدماء ، فصرخ :

ـ لا يا (سلوى) .. لا .

وأسرع إلى الهاتف ، وهو يصيح بكل انفعاله :

ـ هنا المقدّم (نور) ، من المخابرات العلمية .. أرسلوا سيارة إسعاف فورًا ، وبأقصى سرعة .

ثم عاد إلى زوجتـه ، وراح يبذل قصارى جهده لإسعافها ، ولكن وجهها الشديد الشحوب ، ونبضها الضعيف ، وأطرافها المتراخية ، وبركة الدم التى ترقد فيها ، كلها أنبأته بأنها تواجه خطرًا كبيرًا ..

كبيرًا للغاية ..

* * *

اندفع (أكرم) بصدره الممزق ، الذى تغطيه ضمادة كبيرة ، عبر ممر المستشفى المركزى ، فى قلب (القاهرة الجديدة) ، ولم يكد يلمح (نور) فى نهاية الممر ، حتى هتف به :

ــ ماذا حدث يا (نور) ؟.. كيف حال (سلوى) ؟

أجابه (نور) فى أسى :

ــ لقد هاجمها ذلك الوحش ، وكاد يفترسها ، ولكننى وصلت فى اللحظة المناسبة لحسن الحظ ، وأنقذتها من بين براثنه ، إلا أنها مصابة بنزيف شديد ، يهددها بفقدان جنينها ، والأطباء يجاهدون لمنع حدوث هذا .

قال (أكرم) فى حنق :

ــ ياللحقير !.. لقد عكس الأوضاع ، وأصبح هو الصياد وجعل منا فرائسه يا للسخافة ! .. إننى أكره أن ألعب دور الفريسة .

ثم أمسك كتفى (نور) فى قوة ، مستطردًا :

ــ ولكنك نجحت فى إصابته .. أليس كذلك ؟.. قل لى : إنك فعلتها .. قل لى يا (نور) ..

زفر (نور) فى توتر ، وهو يقول :

ــ نعم يا (أكرم) .. لقد أصبته ، ولكننى لم أنجح فى منعه من الفرار .

قال (أكرم) فى غضب :

ــ اللعنة !

ثم هزّ رأسه فى قوة ، وكأنما يحاول نفض الغضب والتوتر عنه ، فى حين سأله (نور) فى اهتمام :

ــ ولكن أخبرنى كيف أقنعت رجال الشرطة بقصتك ؟

قال (أكرم) فى حنق :

ــ ومن قال إنهم اقتنعوا بها .. لقد أثار مسدسى دهشتهم وشكوكهم ، فلم يروا مسدسًا تقليديًا منذ زمن طويل ، ولكن الدكتور (ناظم) وصل إلى قسم الشرطة ، حاملاً أمرًا بالإفراج عنى ، واستعادتى لسلاحى ، وهأنذا .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى غادر أحد الأطباء حجرة العمليات ، فاندفع إليه (نور) فى لهفة ، يسأله :

ــ ماذا فعلتم ؟.. كيف حال (سلوى) ؟

أجابه الطبيب متنهدا :

ـ كانت حالتها خطيرة بالفعل ، وكانت مهددة بفقد جنينها ، ولكننا بذلنا قصارى جهدنا ، واستطعنا إنقاذها بمعجزة .

قال (نور) فى ارتياح :

ـ حمدا لله .

أما (أكرم) ، فسأل فى اهتمام :

ـ وماذا عن الجنين ؟!

بدا الأسف على وجه الطبيب ، وهو يقول :

ـ كان من المستحيل إنقاذهما معا للأسف ، فاضطررنا للتضحية بالجنين ، الذى صار فى حالة شديدة السوء بالفعل .

شعر (نور) بقبضة باردة تعتصر صدره ، وبدموع كالثلج تغمر كيانه ، ولكنه تمتم فى إيمان حقيقى :

ـ حمدا لله على سلامة (سلوى) .

ثم سأل الطبيب فى قلق :

ـ وكيف هى الآن ؟

أجابه الطبيب :

ـ ضعيفة للغاية .. لقد فقدت الكثير من الدماء ، وتعانى من صدمة نفسية عنيفة ، ونحن نخشى أن

تصاب بصدمة أخرى ، عندما تستعيد وعيها ، وتكتشف أمر فقدانها لجنينها . لذا فسنضعها فى حجرة العناية المركزة ، تحت إشراف طبيب نفسى متخصص ، حتى تجتاز هذه الأزمة بإذن الله .

قال (أكرم) فى ارتياح :

ـ عظيم .

ولكن (نور) قال فى حدة :

ـ مستحيل !

التفت إليه (أكرم) فى دهشة ، وقال :

ـ (نور) يا صديقى .. لا تجعل الصدمة تفقدك اتزانك .. زوجتك تحتاج إلى هذا بالفعل ، بعد كل ما مرت به .

أجابه (نور) فى حزم :

ـ لا شأن للصدمة بما أقول يا (أكرم) ، فأنا أومن بالله (سبحانه وتعالى) وأعلم جيدا كيف أتقبل قضاءه وقدره (عز وجل) ، ولكن المستشفى المركزى ليس بالمكان الآمن ، الذى يمكننى أن أترك فيه زوجتى ، وأنا أعلم أنه هناك كائن وحشى يسعى للقضاء عليها ، انتقاما منى .

قال الطبيب فى قلق :

ـ ولكنها تحتاج إلى العناية المركزة والإشراف النفسى بالفعل .

أجابه (نور) على الفور :

ـ لست أشك فى هذا قط ، ولكن توفير وسائل الأمن المطلوبة هنا أمر عسير للغاية ، لذا فسأعمل على نقل (سلوى) إلى حجرة العناية المركزة الخاصة ، فى مبنى المخابرات العلمية .

ثم التفت إلى (أكرم) ، مستطردا :

ـ وهذا ينطبق على (مشيرة) أيضا يا (أكرم) ، فلم يعد هناك مكان آمن ، فى (مصر) كلها ، بالنسبة لزوجتينا ، سوى مبنى المخابرات العلمية .. اذهب بـ (مشيرة) إلى هناك ، وسآخذ ما يلزم ، لنقل (سلوى) أيضا ، فقد اتخذ صراعنا منحنى جديدًا ، يحتاج منا إلى قتال عنيف شرس ، وإلى تأمين ظهرينا ، حتى لا نضطر للالتفات خلفنا طوال الوقت ، ونحن نقاتل خصمنا .

قال (أكرم) فى حزم :

ـ أنت على حق .. سأنقل (مشيرة) إلى هناك فورا .

واندفع لتنفيذ الأمر ، ولكنه لم يكد يبلغ نهاية الممر ، حتى وجد (هناء) أمامه ، فهتف فى دهشة :

ـ ماذا تفعلين هنا ؟

أجابته متعجلة متوترة :

ـ أين (نور) ؟

أشار إلى (نور) ، قائلا :

ـ ها هوذا . ولكن ماذا حدث ؟

اتجهت نحو (نور) فى خطوات سريعة ، وهى تجيب (أكرم) :

ـ لقد أصاب الوحش فى منزله ، وطلب منى فحص الدماء التى نزفت منه .

سألها فى دهشة :

ـ وبم يفيدنا هذا ؟.. هل سنحاول معرفة فصيلة دمه ، فى حالة ما إذا احتاج الامر لإجراء عملية نقل دم له ؟

عقدت حاجبيها ، قائلة :

ـ لست أميل إلى هذا النوع من المزاح .

قال ساخرًا :

ـ وهل تميلين إلى الأنواع الأخرى ؟

مطّت شفتيها فى ضيق ، فأشار (نور) إلى (أكرم) قائلا :

ـ كفى يا (أكرم) .. أرجوك .. الأمر لا يحتمل هذا .. أخبرينى يا (هناء) .. ما الذى توصلت إليه ؟

أجابته وهى تخرج من حقيبتها تقريرين معمليين :

ـ كما كنت تتوقع تماما يا سيادة المقدم .. دماء ذلك الوحش ليست بشرية .. إنها أشبه بدماء بعض أنواع

الزواحف . ذات الدم البارد (*) ، وهذا ينفى عنه صفة البشرية تماما ، ولكن هذا ليس الأمر الأكثر أهمية . انظر إلى تقرير الفحص الجينى .. إنه ترتيب جينات الوحش وصفاته الوراثية .. ولقد راجعت النتائج بنفسى ثلاث مرات .

سألها (أكرم) فى فضول :

ـ وما العجيب فيها ؟

التفتت إليه ، ولوحت بالتقرير ، مجيبة :

ـ العجيب فيها أن هذا التركيب الجينى ، الذى حصلنا عليه ، يختلف تمام الاختلاف عن التركيب الجينى الرسمى ، الذى تسلمته إدارة المخابرات العلمية ، مما يعنى أن أحدهم خدعنا منذ البداية أيها السادة .. وبشدة .

احتقن وجه (نور) فى شدة ، فى حين عقد (أكرم) حاجبيه ، مغمغمًا :

ـ ياللحقارة !

فقد كان هذا القول يؤكد وجود خائن بين الصفوف .. خائن يحمل رتبة كبيرة .. كبيرة للغاية .

* * *

(*) ذوات الدم البارد : يطلق هذا المصطلح على الحيوانات التى تتغير درجة حرارة دمائها ، مع تغير درجة الحرارة الخارجية ، مثل الضفادع والثعابين ، أما الإنسان ، فهو من ذوى الدم الحار ، أى أن درجة حرارة دمه ثابتة دائمًا ، بغض النظر عن حرارة الوسط المحيط .

١١ ـ انفجار ..

توترت الدكتورة (نرمين مندور) فى شدة ، وهى تجمع ثيابها فى حقيبتين كبيرتين ، وألقت نظرة على ساعة يدها للمرة العاشرة ، خلال نصف الساعة ، قبل أن تلتقط سماعة هاتف الفيديو ، وتضغط أزراره فى عصبية ، وتقول :

ـ أنا الدكتورة (نرمين مندور) .. أين التذكرة التى طلبتها ؟

أجابتها موظفة شركة الطيران بابتسامة كبيرة :

ـ لقد تم حجز تذكرة باسمك يا سيدتى ، فى درجة رجال الأعمال ، إلى (الولايات المتحدة الأمريكية) ، فى تمام الخامسة عصرًا ، والمفروض أن تصلى إلى المطار فى الرابعة ، و ..

قاطعتها الدكتورة (نرمين) فى حدة :

ـ الخامسة ؟!.. لا يمكننى الانتظار حتى الخامسة .. أريد السفر على أول طائرة .

بدأت ابتسامة الموظفة تحمل شيئًا من الضجر ، وهى تقول :

ـ طـائـرة الخامسة هى أول طـائـرة تسـافر إلـى (الولايات المتحدة الأمريكية) .

هتفت الدكتورة (نرمين) :

ـ لا أريد السفـر إلى (أمريكـا) إذن .. أريد تذكـرة إلـى (لـندن) أو (بـاريس) . أو حتـى (موسـكو) .. المهم أن أسافر خلال ساعة واحدة .

انتفض جسدها كله بغتة ، عندما سمعت صوتا هادئا ، يقول :

ـ أأنت متعجلة إلى هذا الحد ؟

ارتطمت بهاتف الفيديو فى عنف ، وهى تستدير لمواجهة صاحب الصوت ، واقترن صوت تحطمه بشهقة الفزع ، التى انطلقت من حلقها ، وهى تحدق فى وجه (نور) ، الذى وقف بباب الحجرة ، وعقد ساعديه أمام صدره ، فهتفت به بكل توترها وانفعالها :

ـ ماذا تفعل هنا ؟.. كيف دخلت منزلى دون إذن منى ؟

تجاهل سؤالها ، وهو يقول :

ـ إلى أين يا دكتورة (نرمين) ؟

أرادت أن تبدو هادئة ، ولكن صوتها خرج ، على الرغم منها ، عصبيًا متوترا ، وهى تجيب :

ـ ليس هذا من شأنك .

قال فى صرامة :

ـ هل تفضلين الإجابة عليه فى محضر رسمى ، أمام وكيل نيابة أمن الدولة؟!

ارتجف جسدها للفكرة ، فقالت محتدة :

ـ إنه أمر لا يعنيك ، ولكننى لا أرغب فى إضاعة وقتى ، فأنا فى طريقى لحضور مؤتمر عن التركيبات الجينية الجديدة ، فى الولايات المتحدة الأ ...

قاطعها بغتة :

ـ كذب .

حدّقت فى وجهه بمزيج من الدهشة والتوتر ، قبل أن تقول فى صوت مختنق :

ـ كيف تجرؤ أيها الشرطى ؟!.. هل تتهمنى بالكذب ؟

أجاب فى حزم :

ـ لقد راجعت كل جداول المؤتمرات العلمية فى العالم ، قبل أن آتى إلى هنا .

ارتبكت لحظة ، ثم حاولت استعادة سيطرتها على نفسها ، وهى تقول فى عصبية شديدة :

ـ فليكن .. سأسافر فى رحلة سياحية .. لا يوجد قانون يمكنه منعى من هذا .

أجابها فى صرامة :

- خطأ يا دكتورة (نرمين) .. أبسط القوانين يمكنها منعك من السفر ، عندما يوجه إليك اتهام رسمىّ ، بتهديد أمن الدولة .

هوى قلبها بين قدميها ، وهى تقول :

- أنا ؟!

أجابها بلهجة هجومية قاسية :

- نعم .. أنت يا دكتورة (نرمين) .. لقد حصلنا على عينة فعلية من دماء الوحش ، ومنها عرفنا تركيبه الجينى الحقيقى ، والمدهش أنه يختلف تمام الاختلاف عن ذلك التركيب ، الذى تقدمت به رسميًا .

شحب وجهها بشدة ، وشعرت وكأن قدميها تعجزان عن حملها ، وهى تترنح ، قبل أن تلقى جسدها على أقرب مقعد إليها ، وتدفن وجهها بين كفيها ، هاتفة وهى تهتز من فرط البكاء :

- لم أكن أعلم أن هذا يخالف القانون .. كنت أتصور أننى أطيع الأوامر لصالح الدولة .

سألها بسرعة وحزم :

- أوامر من ؟!

قالت فى انهيار :

- أوامر الوزير .

توتر جسد (نور) ، وهو يسألها فى حذر :

- أى وزير ؟

رفعت إليه وجهها الذى أغرقته الدموع ، وهى تجيب ذلك الجواب ، الذى خشى أن يسمعه :

- وزير الدفاع .

وشعر (نور) وكأن صاعقة مؤلمة قد هوت على رأسه ، واخترقت قلبه ، لتسرى عبر شرايينه وأوردته ، ثم تستقر فى معدته ، وهو يردد خلفها فى ألم :

- وزير الدفاع ؟!

ثم سألها فى مرارة :

- وهل ألقى عليك أوامره هذه بنفسه ؟

جففت دموعها ، وهى تجيب :

- لقد تلقيت الأوامر شخصيًا من ..

بترت عبارتها بغتة ، وجحظت عيناها فى شدة ، وتفجر نبع دموى صغير من صدغها الأيسر المواجه للنافذة ، قبل أن يهوى رأسها على صدرها ، ويفقد جسدها حياته دفعة واحدة .

واتسعت عينا (نور) فى توتر ودهشة ، ثم استدار يلقى نظرة عبر النافذة ، ووقع بصره على شخص فى زى

رسمى ، يصوّب إليه بندقية ليزرية ، من مسافة مائتى متر ..

وتراجع (نور) بسرعة مدهشة ، فى نفس اللحظة التى عبر فيها شعاع الليزر القاتل زجاج النافذة ، ومرق على قيد سنتيمترات قليلة من رأسه ، قبل أن يصيب الجدار ، ويشعل بقعة صغيرة منه ..

ولم يُضع (نور) لحظة واحدة ..

لقد استلّ مسدسه الليزرى ، وقفز يخترق زجاج النافذة ، ويهبط فى حديقة المنزل ، ثم يتدحرج بسرعة ، ويُطلق النار نحو ذلك القاتل ..

واصاب (نور) هدفه مباشرة ، وانفجر خزّان الطاقة فى بندقية القاتل ، الذى هتف فى حنق ، وهو يلقى بندقيته بعيدًا :

ــ اللعنة !

ثم استدار يعدو هاربًا بكل قوته ، وانطلق (نور) خلفه فى حزم ، ورآه يقفز داخل سيارة صاروخية سوداء ، تحمل رقمًا مميزًا ، لا يمكن أن يخطئه أى رجل أمن ..

رقم سيارة وزير الدفاع ..

وانعقد حاجبا (نور) فى توتر بالغ ، ولكنه لم يتوقّف

لحظة واحدة ، وإنما واصل عدوه نحو السيارة ، وهو يهتف :

ــ توقّف أو أطلق النار .

إلا أن الرجل لم يتوقّف ، وإنما أدار محرّك السيارة ، وانطلق بها دون تردّد .

ولم يعد هناك مجال للتفكير ، ولكن (نور) تردّد لحظة واحدة ، ليقاوم تلك النزعة المناهضة للعنف فى أعماقه ، ثم ضغط زناد مسدسه الليزرى ..

وفى نفس اللحظة التى دارت فيها السيارة ، عند أوّل ناصية ، أصابت طلقة (نور) إطارها الأمامى ، الذى انفجر بدوى عنيف ، فانحرفت السيارة فى قوة ، وارتطمت بحاجز منزل قريب ، فوثبت على نحو مخيف ، وهبطت كجلمود من الصخر ، وانقلبت رأسًا على عقب ، وراحت تتدحرج طويلاً ، قبل أن تستقر مقلوبة ، وإطاراتها تدور فى عنف ..

وفى إرهاق وضعف ، دفع القاتل زجاج السيارة المجاور له ، وحاول أن يزحف خارجًا ، و (نور) يعدو نحوه ، هاتفًا :

ــ أسرع يا رجل .. أسرع .

ولكن فجأة ، وهو على مسافة عشرين مترًا من

السيارة ، رأى شرارة تنطلق بغتة ، من مقدمتها إلى مؤخرتها ، فتراجع صارخا :

ــ أسرع .

ومع آخر حروف كلماته ، دوى الانفجار ، وشعر (نور) بجسده يطير فى الهواء ، ثم يرتطم بالأرض فى عنف ، و ...

وانتهى كل شىء ..

* * *

سبح (نور) طويلا فى بحر مظلم بلا قرار ، تخبّط عقله فيه مع أمواجه ، ذات الزبد الأسود المخيف ، وبدا له وكأنه يغوص فى أعماق ذلك البحر ، نحو فجوة عميقة ، انتفض قلبه لمرآها ، وقاوم الانجذاب إليها بكل قوته ، ولكنه فشل فى تجنبها ، ولم يكد يقترب منها ، حتى انتبه إلى أنها حلق وحش رهيب ، له أنياب بارزة مخيفة ، فصرخ بملء فيه ، ولكن صرخته لم تتجاوز أعماقه ، واحتبست فى حلقه ، وغصّ بها كيانه ، فى نفس اللحظة التى امتدّت فيها ، من الأعماق المظلمة ، يد الوحش ذات المخالب الحادة ، وضغطت على صدره ، و ..

واستيقظ ..

استعاد وعيه فجأة ، وفتح عينيه عن آخرهما ، محدقًا فى وجه (أكرم) ، الذى تهدّج صوته لأوّل مرة ، وهو يقول :

ــ حمدًا لله يا (نور) .. لقد استعدت وعيك ..

سأله (نور) فى حيرة :

ــ ماذا حدث ؟.. أين أنا ؟

أجابه (أكرم) بلهجة ودود ، لم يعتدها منه (نور) قط ، وهو يجلس على طرف فراشه الصغير :

ــ أحدهم قتل الدكتورة (نرمين) ، والجيران قالوا : إنك طاردته ، وأصبت سيارته ، التى انقلبت ، وانفجر خزان وقودها ، ودفعك الانفجار فى عنف ، فسقطت على رأسك ، وفقدت الوعى .

نهض (نور) من فراشه ، مقاومًا الصداع الذى يشعر به ، وهو يقول :

ــ تذكّرت .. لن يمكنك أن تصدّق أبدًا أية سيارة أصبت .

أجابه (أكرم) فى بساطة :

ــ سيارة وزير الدفاع .

قال (نور) فى دهشة ، وهو يرتدى سترته :

ــ كيف عرفت ؟

هزّ (أكرم) كتفيه ، وقال :
ـ إنك فاقد الوعى منذ خمس ساعات يا صديقى ، ولقد حدث الكثير والكثير ، فى هذه الساعات الخمس .. رجال المخابرات العلمية فحصوا بقايا السيارة ، والطب الشرعى فحص جثة القاتل ، وتم تعرّفه فورًا ، عبر سجلات الكمبيوتر ، واتضح أنه الحارس الخاص لوزير الدفاع ، واتصل القائد الأعلى بالسيّد رئيس الجمهورية ، وحصل منه على إذن باستجواب السيد وزير الدفاع ، الذى أنكر صلته تمامًا بما فعله حارسه ، وأصابته الدهشة لأنه استخدم سيارته الرسمية لأداء هذا .
مطّ (نور) شفتيه ، قبل أن يسأله :
ـ وهل استجوبوه باستخدام جهاز الكذب ؟
هتف (أكرم) فى دهشة :
ـ جهاز كشف الكذب ؟! .. هل تتوقّع أن يفعلوا هذا مع وزير الدفاع ؟
قال (نور) فى ضيق :
ـ لو أنه برىء فلن يضيره أن يفعل .
تطلّع إليه (أكرم) فى دهشة ، ثم لم يلبث أن عقد حاجبيه ، وهو يسأله :
ـ (نور) .. ما الذى تخفيه عنى بالضبط ؟

صمت (نور) لحظات ، قبل أن يقول فى حسم :
ـ أنت زميلى الوحيد هذه المرة يا (أكرم) ، والأفضل ألا أخفى عنك شيئًا .
قال (أكرم) فى توتر :
ـ هذا أفضل بالتأكيد .
روى له (نور) ما حدث ، فى أثناء لقائه مع الدكتورة (نرمين) ، وما قالته قبل مصرعها مباشرة ، فعقد حاجبيه فى شدة ، وهو يقول :
ـ يا إلهى .. وزير الدفاع شخصيًا ؟! .. إنها كارثة يا (نور) .. لا يمكننى أن أتصوّر أبدًا أن وزير الدفاع خائن .
هزّ (نور) رأسه قائلاً :
ـ إنها ليست خيانة يا رجل ، ولا يمكننا أن نصفها بهذا ، فلو صحت توقعاتى ، يكون الأمر كله مجرّد اختبار لإنتاج سلاح حربى حى ، أو تجربة فاشلة ، لإنتاج مقاتل لا يقهر ، ولكن العسكريين دسّوا أنفهم فيها على نحو غير علمى ، وباستغلال سيىء لسلطاتهم ، فتسبّبوا فيما نحن فيه الآن .
قال (أكرم) فى سخرية عصبية :
ـ وترفض أن تطلق على هذا اسم خيانة ؟

ثم نهض مستطردا فى حزم :

ـ فليكن يا (نور) .. من الواضح أننا سنظل مختلفين إلى الأبد . فلكل منا وسيلة مختلفة ، للنظر إلى الأمور ، ولكن النقطة التى نتفق فيها ، هى ضرورة القضاء على ذلك الوحش بأى ثمن ، وبأسرع وسيلة ممكنة ، أيا كانت الجهة التى ينتمى إليها .

قال (نور) :

ـ هذا صحيح .. ولن نضيع لحظة واحدة بعد هذا .

وتلفت حوله ، مستطردا :

ـ أين مسدسى ؟

أخرج (أكرم) المسدس الليزرى ، وألقاه إليه ، قائلا :

ـ ها هوذا .. لست أدرى كيف يمكنكم استعمال مثل هذه الأشياء .. إننى أفضل هذا .

واستل مسدسه التقليدى ، وتحسس خزانة رصاصاته فى مزيج من الزهو والاستمتاع ، فى نفس اللحظة التى دلفت فيها ممرضة القسم إلى المكان ، وهتفت فى دهشة :

ـ ما هذا ؟ .. ماذا تفعلان بهذين المسدسين ؟

أجابها (أكرم) ، وهو يلوح بمسدسه فى سخرية :

ـ إنه عقار جديد ، يحقق نتائج مدهشة فى تهدئة بعض الأوغاد ، عندما يتجاوزون حدودهم .

عقدت حاجبيها ، وهى تقول :

ـ لا يروق لى هذا النوع من المزاح .

سألها (نور) ، وهو يعيد مسدسه إلى جيبه :

ـ كيف حال زوجتى الآن ؟

أجابته بسرعة :

ـ مازالت غارقة فى نوم عميق ، فقد حقنتها الأطباء بعقار مهدئ قوى المفعول ، حتى لا تصاب بانهيار عصبى ، عندما تدرك أنها فقدت جنينها .. هذا أفضل لها بكل تأكيد .

تنهد فى حزن ، وهو يغمغم :

ـ أعلم هذا .

ثم التفت إلى (أكرم) ، مستطردا فى حزم :

ـ لا أعتقد أننى سأحتمل وجود ذلك الكائن ، بعدما فعله بنا .

قال (أكرم) فى حماس ، وهو ينهض ، ويعيد مسدسه إلى جيبه بدوره :

ـ هذا يجعلنا اثنين ، يحملان الشعور ذاته .. هيا بنا .

هتفت الممرضة :

ـ إلى أين ؟.. المفروض أن يبقى المقدم (نور) تحت الملاحظة ليوم كامل .

أجابها (نور) ، وهو يغادر المكان مع (أكرم) :

ـ فليكن يا سيدتى .. سنتم مهمتنا أولاً ، ثم أعود فيما بعد ، لأتم فترة الملاحظة ..

هتفت فى دهشة :

ـ فيما بعد !!.. وبم يفيد هذا عندئذ ؟

لم تجد رداً على سؤالها ، بعد أن اندفع الاثنان يغادران المكان ، ويقفزان داخل سيارة (نور) ، الذى انطلق بها على الفور ، وهو يسأل (أكرم) :

ـ هل من أخبار جديدة ، عن ذلك الوحش ؟

أجابه (أكرم) :

ـ مطلقاً .. يبدو أنه يفضّل الليل لعمله .

غمغم (نور) وهو يفكر فى عمق :

ـ نعم .. أعتقد هذا .

ثم انحرف بالسيارة إلى المنطقة المجاورة ، فسأله (أكرم) :

ـ إلى أين ؟

أجابه (نور) :

ـ الدكتورة (هناء) الخبيرة البيولوجية ، تجرى أبحاثها حتماً حول ذلك الوحش ، بعد أن عرفت تركيبه الجينى الحقيقى ، وأريد أن أعرف آخر ما توصلت إليه .

ولم تمض دقائق معدودة ، بعد قوله هذا ، حتى كان يقف مع (أكرم) داخل معمل فحص الجينات ، وهتف الأخير فى دهشة ، وهو يدير عينيه فى ذلك الكم من الأجهزة العلمية ، الذى يملأ المكان :

ـ ماذا تفعلون بكل هذا ؟

رمقته (هناء) بنظرة قاسية ، وهى تقول :

ـ هل تظن الأمر سهلاً ؟

قال (نور) فى سرعة ، قبل أن يتجادلا حول هذا الأمر :

ـ هل من جديد ؟

أعاد سؤاله (هناء) إلى حماسها العلمى ، فقالت بسرعة :

ـ بالطبع .. لقد أعدت دراسة كل شىء ، على ضوء البصمة الجينية الجديدة ، وتوصلت إلى نتائج مختلفة تماماً .

والتقطت تقريراً مطبوعاً من أمامها ، وهى تقرأ منه :

ـ التكوين الرئيسى لحرباء ، تم تطوير الجين الخاص بالتحور فيها ، بحيث صار أكثر قدرة ومرونة ، أما الحجم ودرجة الذكاء ، فيعودان إلى جينات بشرية مضافة ، ولكن البقية الباقية من التكوين عبارة عن جينات خفاش .

وتوصلت إلى نتائج مختلفة تمامًا، والتقطت تقريرًا مطبوعًا من أمامها ،
وهى تقرأ منه : – التكوين الرئيسى لحرباء ..

سألها (أكرم) فى حيرة :

– وما الذى يمكن أن يضيفه إلينا هذا ؟

أجابته فى اهتمام :

– الكثير ، فطبقًا لهذا التكوين ، سينقسم سلوك ذلك الكائن ما بين طبيعة الحرباء ، وغرائز الخفاش ، مع لمسة بشرية ، ولكن درجة الذكاء والجنون مرتفعة بالطبع ، ولو أننا درسنا النمط السلوكى من هذا المنظور ، فسيدهشنى بشدة أن يختار الأطلال مكمنًا له ، إذ أن الأكثر منطقية ، أن يختار مكانًا مظلمًا رطبًا .

سألها (نور) فى اهتمام :

– مثل ماذا ؟

قبل أن تجيب سؤاله ، اندفع أحد معاونيها فجأة إلى المكان ، وهو يقول فى انفعال :

– الوحش ضرب ضربة ثانية .

التفت إليه الجميع فى سرعة ، وسأله (نور) :

– أين ؟

أجاب الرجل بكلمات لاهثة :

– فى نفس المكان .. فى الأطلال القديمة .

تألقت عينا (نور) ، وهو يقول :

– كنت على حق إذن .. هناك شىء ما يجذبه إلى

تلك الأطلال القديمة ، حتّى يجازف بدخولها ، مع وجود كل رجال القوات الخاصة داخلها .

ثم سأل الرجل فى اهتمام بالغ :

ـ ومن قتل هذه المرة ؟

اعتدل الرجل ، وازدرد لعابه ، قبل أن يجيب :

ـ القائد نفسه .. قائد القوات الخاصة .

وكان الجواب مباغتًا ..

مباغتًا بشدة .

* * *

١٢ ـ رائحة الخطر ..

مطّ الدكتور (ناظم) شفتيه فى حنق ، وهو يتطلّع إلى أشلاء قائد القوات الخاصة ، التى مزّقها الوحش شرّ ممزّق ، وقال فى حدة :

ـ ولكن كيف وصل إليه ، وسط كل هذا العدد من الجنود ؟

أجابه أحد الضباط فى توتر :

ـ لا أحد يدرى يا سيّدى .. يبدو أنه تنكّر فى هيئة أحد رجالنا ، فلم ينتبه إليه أحد ، وهو يتّجه إلى خيمة القائد ، و ..

قاطعه أحد الجنود بصوت مرتجف :

ـ بل انتحل هيئة القائد نفسه ..

التفت إليه (نور) و (أكرم) والدكتور (ناظم) ، فى آن واحد ، وسأله (نور) فى اهتمام شديد :

ـ ماذا تعنى يا رجل ؟ .. لماذا قلت هذا ؟

ازدرد الرجل لعابه ، قبل أن يجيب :

ـ لأن هذا ما رأيته يا سيّدى .

اتجه إليه (نور) ، وهو يسأله :

— هل يمكنك أن تصف لنا ما حدث ؟

بلع الرجل ريقه مرة ثانية ، قبل أن يقول فى شىء من العصبية :

— أنا أحد الجنود المسئولين عن أمن وسلامة القائد ، وكنت أقف لحراسة خيمته ، عندما رأيته يتجه نحوها .. ولدقيقة كاملة ، انتابتنى حيرة شديدة ، فلم أكن قد لمحته يغادر خيمته قط ، ثم لم ألبث أن اتهمت نفسى بضعف الملاحظة ، ولم أعترض على دخوله إلى الخيمة .. وبعد دخوله بلحظات ، خُيِّل إلىَّ أننى أسمع صوتًا أشبه بالفحيح ، ينبعث من داخل الخيمة ، وقبل أن أتحرَّك لتفقُّد الأمر ، لمحت القائد يخرج مرة ثانية من الخيمة ، فأديت له التحية العسكرية ، مع الجنود الآخرين وبقينا فى مواضعنا لنصف ساعة أخرى ، حتى دخل أحد الضباط إلى الخيمة ، ليعلن مقتل القائد ، الذى رأيناه بأنفسنا يغادر خيمته .. صدقنى يا سيِّدى .. لست أجد تفسيرًا لهذا ، ولكننى رويت لكم كل ما حدث ؟

زفر (أكرم) فى حنق ، وهو يقول :

— نحن نعرف التفسير يا رجل .

ثم التفت إلى (نور) ، مستطردًا :

— أليس كذلك يا (نور) ؟

بدا له وكأن (نور) لم يسمعه قط ، مع استغراقه

الشديدة فى التفكير ، فتمتم فى شىء من الحنق :

— يبدو أننى أتحدَّث إلى نفسى .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى أشار (نور) بسبَّابته ، وهو يقول :

— ولكن لماذا القائد نفسه ؟!

قال الدكتور (ناظم) ، وهو يرمقه بنظرة حذرة :

— ما الذى يدور فى رأسك يا (نور) ؟

أجابه (نور) فى اهتمام واضح :

— إننى أتساءل : لماذا تجشَّم الوحش كل هذا العناء ، ليتجاوز ويتفادى كل نظم المراقبة والأمن ، ليقتل قائد القوات الخاصة بالذات ، ودون أن يحصل من قتله على فائدة بعينها ؟

قال (أكرم) :

— ربما أراد أن يثبت أنه يستطيع الوصول إلى القادة أنفسهم .

قال (نور) فى سرعة :

— وكيف عرف هيئة القائد ، حتى يمكنه انتحال شخصيته ؟!

هرش الدكتور (ناظم) رأسه ، وهو يقول :

— ربما راقبه لفترة من الوقت ، أو ..

أكمل (نور) العبارة فى حماس :

ـ أو أن أحدهم أرشده إليه .

ارتفع حاجبا الدكتور (ناظم) فى دهشة ، وهو يهتف :

ـ مثل من ؟!

كاد (أكرم) يجيب :

ـ وزير الدفاع مثلا .

ولكن (نور) أسرع يقول :

ـ لم أحدِّد بعد .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى ظهر أحد الضباط ، وأدّى التحية العسكرية ، قبل أن يناول الدكتور (ناظم) ورقة مطبوعة ، وهو يقول :

ـ وصلت هذه الإشارة الآن يا سيّدى .

تناول الدكتور (ناظم) الورقة ، وقرأها فى سرعة ، ثم ارتفع حاجباه فى دهشة كبيرة ، وهو يهتف :

ـ غير معقول .. غير معقول أبدًا .

بدا الاهتمام على وجه (أكرم) فى حين سأل (نور) :

ـ ماذا هناك ؟

أشار الدكتور (ناظم) إلى الورقة ، وهو يقول بلهجة مستنكرة :

ـ إنه أمر عاجل بإخلاء منطقة الأطلال القديمة على الفور .

انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، فى حين هتف (أكرم) محنقًا :

ـ هذا ما كان ينقصنا .. لقد أفزعهم مصرع قائد القوات الخاصة ، فقرّروا إخلاء المنطقة على الفور .

هتف (نور) :

ـ أو أن هذا هو السبب الرئيسى .

بدا الدكتور (ناظم) منزعجًا ، وهو يقول :

ـ (نور) .. حديثك الآن لا يروق لى .

قال (أكرم) فى شىء من اللهفة :

ـ ولكنه يمتعنى للغاية .. هيا يا (نور) .. اشرح لنا ما يدور فى ذهنك .

قال (نور) :

ـ إننى أعتقد أن السبب الرئيسى لمقتل قائد القوات الخاصة ، هو إيجاد المبرِّر لفك الحصار عن الأطلال ، أو ربما لأن الرجل توصّل إلى شىء ما ، لم يكن من المطلوب أن يعرفه .

هتف الدكتور (ناظم) :

ـ (نور) .. ما تقوله بالغ الخطورة .

أجابه (نور) فى حزم :

- ولكننى أقصد كل حرف منه يا دكتور (ناظم) .. وأعتقد أن توقيع الشخص ، الذى أصدر الأمر بفك الحصار ، يمكنه أن يشرح لنا الكثير .

قال الدكتور (ناظم) فى عصبية :

- أو يمكنه أن يجعل الأمور بالغة التعقيد يا (نور) .

ودفع الورقة أمام عينيه ، مستطردًا :

- وخاصة مع هذا التوقيع .

أطلق (أكرم) صفيرًا طويلا ، فى حين التقى حاجبا (نور) فى توتر ملحوظ ، وهو يحدّق فى التوقيع الواضح ، أسفل الأمر المطبوع .

توقيع الوزير ..

وزير الدفاع شخصيًا ..

* * *

ارتفع حاجبا الخبيرة البيولوجية (هناء حمّاد) فى دهشة بالغة ، وهى تهتف مستنكرة :

- وزير الدفاع بنفسه ؟! .. مستحيل أيها المقدّم (نور) .. لن يمكنك إقناعى بهذا أبدًا ، فالرجل شخصية محترمة للغاية ، ولا يمكننى أن أشك لحظة واحدة فى نزاهته ، أو وطنيته .. حاول أن تدرس الأمور مرة

أخرى ، فأنت مخطئ حتمًا .

غمغم (نور) فى أسى :

- كم أتمنى هذا .

ثم وقف يتطلّع عبر النافذة ، إلى ساحة المبنى ، وهو يستطرد :

- ولكن الذى حدث أن القوات الخاصة انسحبت من حول الأطلال بالفعل ، ولم يعد هناك ما يحول بين الوحش والعودة إليها .

قالت حائرة :

- ولماذا يعود إليها ، مادامت سلوكياته الطبيعية تدفعه إلى الأماكن الرطبة المظلمة ؟

بدت عليه علامات تفكير عميق ، وهو يقول :

- هناك شىء حتمًا يجبره على هذا .. شىء يحتاج إليه ذلك الوحش بصورة حتمية ، ولا يمكنه الاستغناء عنه .

اعتدل (أكرم) فى مجلسه ، وهو يقول :

- أتقصد شيئًا مثل بطاريات الطاقة ؟! .. أعنى شيئًا يشحن به نفسه ، أو يستعيد به طاقته ؟

استدار إليه (نور) فى حركة حادة ، ورمقه بنظرة قصيرة مفعمة بانفعالات مختلفة ، قبل أن يهتف :

ـ بالتأكيد .. شىء يستعيد به طاقته ، أو يحصل عليها منه .. لقد وضعت يدك على الحقيقة يا (أكرم) .

قال (أكرم) :

ـ يسعدنى هذا للغاية ، ولكن ما الشىء ، الذى يحتاج إليه ذلك الوغد ، من الأطلال القديمة ، ولا يمكنه العيش دونه ؟!

أجابه (نور) فى حزم :

ـ هذا ما ينبغى أن نبحث عنه هناك .

هتفت (هناء) مذعورة :

ـ هناك أين ؟

نهض (أكرم) ، وهو يقول بلهجة أقرب إلى الجذل :

ـ ياله من سؤال ! .. فى الأطلال طبعًا .

اتسعت عيناها فى دهشة ، وأدارتهما بين وجهيهما مرتين ، قبل أن تقول :

ـ هل أصابكما الجنون ؟! .. هل ستجازفان بالذهاب إلى الأطلال وحدكما ؟!

أجابها (نور) فى حزم :

ـ ألديك وسيلة أخرى للتأكد ؟

تصفحت عقلها فى سرعة ، بحثًا عن جواب ، ولكنها لم تكد تتوصل إليه ، حتى لم تعد بها حاجة لنطقه ، فقد

انصرف الاثنان من أمامها ، وانطلقا إلى هناك .. إلى الأطلال ..

* * *

سعلت (سلوى) مرتين ، قبل أن تستعيد وعيها ، وتغمغم فى ضعف :

ـ أين أنا ؟! .. ماذا حدث ؟!

اسرعت إليها الممرضة المسئولة ، وهى تقول فى رفق :

ـ حمدًا لله على سلامتك يا سيدتى .. أنت هنا فى الجناح الطبى الخاص ، فى إدارة المخابرات العلمية .

فتحت (سلوى) عينيها عن آخرهما ، وهى تهتف :

ـ وماذا أفعل هنا ؟!

واستعاد عقلها بغتة تلك الدقائق الرهيبة ، التى ذاقت خلالها رعب الدنيا كله ، فى مواجهتها مع الوحش ، فشحب وجهها ، وهى تهتف مرتجفة :

ـ رباه ! .. لقد نجوت من ذلك الشىء الرهيب .. لقد نجوت منه بمعجزة .

أمسكت الممرضة كتفيها ، وحاولت إعادتها برفق إلى فراشها ، قائلة :

ـ كل شىء انتهى على خير يا سيدتى .. كل شىء .

هتفت (سلوى) :

ـ ولكن أين (نور) ؟ .. أين زوجى ؟ .. هل أخبرتموه بما حدث ؟.. هل علم بما أصابنى ؟

أتاها ، من عند الباب ، صوت يقول :

ـ (نور) هو الذى أنقذك ، من ذلك الوحش يا (سلوى) .

التفتت (سلوى) إلى مصدر الصوت ، وقالت فى دهشة :

ـ (مشيرة) ؟! .. ماذا تفعلين هنا ؟

أشارت (مشيرة) للممرضة بالانصراف ، وهى تقترب من (سلوى) ، وتجلس على طرف فراشها ، قائلة :

ـ ذلك الوحش هاجمنى أيضًا ، فى مبنى الجريدة ، وأنقذنى (أكرم) من براثنه ، فى اللحظة الأخيرة ، ويبدو أن زوجك وزوجى يطاردانه ، لذا فقد أراد الانتقام منهما فى شخصينا ، وهذا ما جعلهما يحضراننا إلى هنا ، لنحظى بالأمن والعناية الكافيين .

سألتها (سلوى) فى توتر :

ـ ولكن أين هما ؟! .. أين زوجك وزوجى ؟

تنهدت (مشيرة) ، قبل أن تجيب :

ـ من الواضح أنهما يواصلان مطاردته .

هتفت (سلوى) :

ـ مطاردته ؟! .. هل يطاردان ذلك الشىء البشع وحدهما ؟ .. كيف ؟ .. كيف يتركنى (نور) وحدى هنا ، ويطارد ذلك الوحش ، وأنا أحمل ابنه فى ...

بترت عبارتها بغتة ، واتسعت عيناها فى ذعر ، وهى تتحسس بطنها ، قبل أن تقول فى صوت مختنق :

ـ أين هو ؟! .. أين جنينى ؟! .. ماذا فعلتم بى ؟

أمسكت (مشيرة) كتفيها ، وقالت محاولة تهدئتها :

ـ لقد بذلت جهدًا رهيبًا ، فى صراعك مع ذلك الوحش يا عزيزتى ، وأصابك نزيف شديد ، وكان من المحتم أن ..

قاطعتها (سلوى) صارخة :

ـ لا ..

انتفض جسد (مشيرة) كله ، مع عنف الصرخة ، وتلك اللوعة الرهيبة ، التى أطلقتها بها (سلوى) ، التى تابعت فى انهيار :

ـ مستحيل !! .. لا تقولى لى إننى فقدت ابنى .. لا تقولى هذا .

اندفعت الممرضة داخل الحجرة ، وهى تهتف :

ـ كنت أخشى هذا .. كنت أخشى هذا .

وبسرعة مدهشة ، أخرجت من جيبها محقنًا ، وغرسته فى ذراع (سلوى) ، ودفعت العقار المهدئ فى عروقها ، فصرخت (سلوى) مرة أخرى :

ـ لماذا ؟ .. لماذا فقدته ؟ .. لماذا ؟..

وظلت تردد العبارة نفسها ، وصوتها يخفت رويدًا رويدًا ، حتى عادت إلى سباتها العميق .. والطويل ..

* * *

كان الأفق يهم بالتهام قرص الشمس ، وسيارة (نور) تندفع براكبيها نحو الأطلال القديمة ، التى امتدت أمامها ظلال طويلة ، أضفت على المكان رهبة ملحوظة ، جعلت (أكرم) يقول ساخرًا :

ـ قل لى يا (نور) : لماذا تحدث كل هذه الأمور بعد غروب الشمس ؟

ابتسم (نور) ، وهو يقول :

ـ كنت ألقى على نفسى السؤال ذاته .

وأوقف سيارته على مقربة من الأطلال ، ثم غادرها مع (أكرم) ، واقتحما الأطلال معًا فى حذر وتحفز ، وراحا يجولان بين الجدران المتهدمة ، وكتل الأحجار

والصخور ، والجلاميد الأسمنتية الضخمة ، وكل منهما يدير عينيه فى المكان فى حذر دون أن يصدر عنهما أدنى صوت ، حتى بدأ الظلام ينتشر فى المكان ، فغمغم (أكرم) :

ـ أعتقد أننا سنحتاج إلى مصابيح يدوية للإضاءة .

أجابه (نور) :

ـ من الواضح أنك تعجز عن التكيف مع تكنولوجيا العصر يا رجل ، فالمصابيح اليدوية ستكشف عن وجودنا حتمًا .. لماذا لا نستخدم هذا ؟

وناوله منظارًا عادى المظهر ، أشبه بالمناظير الشمسية ، فقلبه (أكرم) فى يده ، وهو يقول :

ـ ما هذا بالضبط ؟! .. هل تبدو لك الشمس ساطعة ، فى قلب الليل ، حتى نحتاج إلى هذا ؟

ابتسم (نور) ، وهو يقول :

ـ ضعه على عينيك أولًا أيها الثرثار .

وضع (أكرم) المنظار على عينيه ، وهو يهمهم بكلمات متبرمة ، ولكنه لم يكد يفعل ، حتى اتسعت عيناه فى دهشة ، فقد اصطبغ كل شىء أمامه بلون أخضر باهت ، وبدت الرؤية واضحة للغاية ، مما جعله يقول :

ـ آه .. إنها مناظير للأشعة دون الحمراء .

ابتسم (نور) ، قائلا :

ـ يا للعبقرية ! .. هل كشفت هذا وحدك ؟

عقد (أكرم) حاجبيه ، وهو يقول فى حدة :

ـ لست متخلفًا إلى هذا الحد ، إننى ..

قاطعه (نور) بإشارة صارمة مباغتة ، دون أن ينبس ببنت شفة ، ووضع سبابة يسراه على شفتيه ، وهو يشير إلى منطقة ما من الأطلال بسبابته اليمنى ، فتتبع (أكرم) إشارته ، وسرى فى جسده انفعال جارف ، عندما وقع بصره على ذلك الذى يتحرك وسط الأطلال ..

على الحرباء ..

الحرباء القاتلة .

* * *

١٣ ـ الشك ..

ارتفع حاجبا الدكتور (ناظم) فى دهشة بالغة ، وهو يحدق فى وجه القائد الأعلى للمخابرات العلمية ، قبل أن يقول معترضًا ومستنكرًا :

ـ مستحيل يا سيادة القائد !! .. لست أتصور أبدًا أنك تشارك المقدم (نور) فى شكوكه !

شبك القائد الأعلى أصابع كفيه أمام وجهه ، وهو يقول :

ـ ولم لا ؟.. لو أن هذه الشكوك تستند إلى قرائن قوية ، فمن الطبيعى أن أؤيده فيها .

هتف الدكتور (ناظم) :

ـ ولكن المشتبه فيه هذه المرة ليس شخصًا عاديًا . إنه وزير الدفاع شخصيًا .. الرجل الذى يرأس قواتنا المسلحة ، بعد السيد رئيس الجمهورية ، ولا يمكننا التشكيك فى وطنيته قط !

قال القائد الأعلى :

ـ هذا صحيح ، ولكن ماذا لو أنه يفعل كل هذا بدافع الوطنية ذاتها ؟! .. ماذا لو أنه أصدر أوامره

بتشكيل مثل هذا الوحش ، وهو يتصوَّر أنه يقدم بذلك خدمة جليلة لوطنه ، ويمنحه سلاحًا جديدًا فعّالاً ، يضمن له التفوق على خصومه ؟! .. ألم تسمع بتلك المقولة الشهيرة ، التى تقول : إن الطريق إلى الجحيم مفروش دائمًا بالنوايا الطيبة .

انتقل الشك إلى الدكتور (ناظم) ، وامتزج بحيرته ، وهو يقول :

ـ فى هذه الحالة لا يكون الرجل مخطئًا .. أعنى أنه لا يمكننا توجيه أى اتهام إليه .

اعتدل القائد الأعلى ، وهو يقول :

ـ من قال هذا !! .. كل شىء تحكمه القواعد والقوانين يا رجل .. حتى وسائل ابتكار أو إنتاج الأسلحة الجديدة ، ولو أن وزير الدفاع تجاوز القواعد والقوانين ، فمن الطبيعى أن يوجَّه إليه الاتهام ، ولن يعفيه منصبه من هذا ، طبقًا للقانون .

ظلَّ الدكتور (ناظم) صامتًا لحظات ، وهو يتطلَّع إلى القائد الأعلى ، ثم لم يلبث أن تراجع فى مقعده ، وهو يقول فى حيرة :

ـ وكيف نفعل هذا ؟ .. كيف نواجه وزير الدفاع بالأمر ؟

قال القائد الأعلى :

ـ حتى هذه اللحظة ، لا نمتلك أدنى حق فى هذا ، فتوجيه اتهام رسمى إلى وزير الدفاع ، يحتاج إلى موافقة السيِّد رئيس الجمهورية أولاً ، ولن يمكننا إقناعه بما لدينا من قرائن .. إننا نحتاج إلى دليل مادى يا رجل .. دليل قوى ، وعندئذ ..

صمت لحظة ، اكتست بعدها لهجته بصرامة شديدة ، وهو يضيف :

ـ وعندئذ ، لن يحول أى شىء بيننا وبين الإيقاع بالجانى .. أيًا كان !

* * *

سرى انفعال قوى فى جسد (أكرم) ، عندما وقع بصره على ذلك الوحش ، وهو يسير بهيئته الطبيعية وسط الأطلال فصوَّب إليه مسدسه فى سرعة ، وهمَّ بضغط الزناد ، ولكن (نور) استوقفه فى حزم ، وهو يقول هامسًا :

ـ ليس الآن .

قال (أكرم) فى عصبية هامسة :

ـ هل ستعود إلى رومانسيتك السخيفة الآن ؟ .. هذا الوغد يستحق القتل ؟

أجابه (نور) فى صرامة ..

ـ ليس قبل أن نعلم ما يسعى إليه هنا .. لقد بذل الكثير من الجهد ، ليعود إلى الأطلال ، ومن المحتم أنه هناك ما يجذبه إليها ، ومن الضرورى أن نعرف ما هذا بالضبط .

قال (أكرم) فى حدة ، وهو يتابع الوحش ببصره :

ـ دعنا نقتله أولاً ، ثم نبحث عن ذلك الشىء فيما بعد .

خفض (نور) فوهة مسدس (أكرم) فى حدة ، وهو يقول :

ـ قلت لك : ليس الآن .

بدا الغضب الشديد على وجه (أكرم) ، وهو يقول فى حدة :

ـ فليكن يا (نور) .. سأطيع أوامرك ، على الرغم من ثقتى بخطأ أسلوبك هذا ، ولكن ثق أنك ستندم يومًا أشدّ الندم ، على أنك لم تقتله الآن ، ولم ..

قاطعه (نور) فى همس صارم :

ـ اصمت .. إنه يفعل شيئًا ما .

كان الوحش قد توقّف بالفعل أمام كتلة صخرية كبيرة ، وأطلق فحيحه المخيف ، وهو يتحسسها فى

اهتمام ، ثم لم يلبث أن ضغط أحد أجزائها ، فتحركت الكتلة فى هدوء ، وكشفت عن مخبأ كبير ، اصطفت داخله عدة أجهزة وأدوات حديثة ، فاتسعت عينا (نور) و (أكرم) فى دهشة ، وهمس الأول فى انفعال :

ـ هل رأيت ؟! .. هل كان بإمكانك تصور مثل هذا الشىء ؟

غمغم (أكرم) مبهورًا :

ـ مطلقًا .

ثم جذب مشط مسدسه ، مستطردًا فى صرامة :

ـ ولكننا عرفنا ما يسعى إليه ، ولم يعد هناك ما يحول بيننا وبين قتله .

هتف به (نور) :

ـ ليس الآن :

ولكن الوحش استدار إليهما فى حدة وشراسة ، وقد كشف ذلك الصوت المعدنى لمشط مسدس (أكرم) ، عن وجودهما ، وأطلق فحيحه العصبى الوحشى ، فصاح به (أكرم) ، وهو يدفع (نور) جانبًا فى قسوة :

ـ مت أيها الوغد .. مت ..

وقبل أن يضغط (أكرم) زناد مسدسه ، وثب الوحش جانبًا ، وضرب بيده جزءًا من الكتلة الصخرية ، وهو يطلق فحيحًا غاضبًا ، فانبعث فجأة ضوء مبهر ، أغشى عينى (نور) و (أكرم) تمامًا ، واقترن بدوى رصاصات (أكرم) ، الذى انتابته ثورة عنيفة ، جعلته يصرخ :

ـ مت .. مت .. مت ..

كان الضوء المبهر يؤلم عيونهما تمامًا ، فانتزع (نور) منظاره ، وهو يهتف :

ـ كفى يا (أكرم) .. كفى .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى شعر بحركة خلفه ، فاستدار إلى مصدرها فى سرعةً ، وسمع فحيح الوحش ، على قيد سنتيمترات منه فوثب إلى الخلف ، وصاح :

ـ إنه هنا .

انتزع (أكرم) منظاره عن عينيه بدوره ، وأطلق رصاصات مسدسه على مصدر الضوء المبهر ، فى نفس اللحظة التى ضغط فيها (نور) زناد مسدسه الليزرى ، وسمع فحيحًا متألمًا ، يشفّ عن إصابة الوحش ، ويمتزج بصوت تهشّم المصباح المبهر ،

قبل أن يسود الظلام مرة أخرى ..

وبسرعة ، أعاد (أكرم) منظاره إلى عينيه ، وهو يهتف :

ـ لن تفلت هذه المرة أيها الوغد .

عاد كل ما حوله يصطبغ بذلك اللون الأخضر الباهت ، وبدا له المكان مقفرًا خاليًا ، فهتف فى سخط :

ـ اللعنة .. لقد اختفى ؟

أعاد (نور) منظاره إلى عينيه بدوره ، وتلفّت حوله فى قلق ، قبل أن يقول :

ـ إنه لم يبتعد كثيرًا .. إنه هنا ، ينتحل هيئة شىء مما حولنا .

دار (أكرم) حول نفسه ، وهو يقول فى توتر :

ـ أى شىء .. الصخور ، أم الجدران المتهدّمة ، أم الأرضيات ، أم ..

قاطعه (نور) :

ـ يمكنه أن ينتحل هيئة أى منها ..

ساورهما قلق عنيف ، وهما يتوقعان أن ينقضّ عليهما الوحش فى أية لحظة ، وأن يبرز من أى ركن ، ومن أى شىء ..

من الجدار المجاور ، او تلك الصخرة هناك ، أو .. أو ..

وفى عصبية ، قال (أكرم) :

ـ ألصق ظهرك بظهرى يا (نور) .. سيؤمّن كل منا ظهر الآخر ، حتى لا يباغتنا ذلك الوغد .. إنه يهوى الطعن فى الظهر .

ألصق كل منهما ظهره بظهر الآخر ، وبدا مظهرهما عجيبًا مثيرًا ، (أكرم) بمسدسه التقليدى ، و (نور) بمسدسه الليزرى ، وهما يدوران حول بعضهما ، والانفعال يغمر وجهيهما ..

وفجأة ، انبعث ذلك الفحيح ..

انبعث من مكان ما حولهما ، وعجزا عن تحديد مصدره بالضبط ، فقال (أكرم) فى عصبية شديدة :

ـ ذلك الوغد هنا .

قال (نور) فى حزم :

ـ لا تفقد سيطرتك على أعصابك يا (أكرم) .

هتف (أكرم) :

ـ ولكنه هنا .. فى مكان ما هنا .. ربما فى ذلك الجدار .

وأطلق رصاصته نحو الجدار ، ثم صاح :

ـ أو فى تلك الصخرة هناك .

قالها وأطلق رصاصة ثانية نحو الصخرة ، فهتف به (نور) :

ـ لا تفقد سيطرتك على أعصابك قط .. هذا هو ما يسعى إليه .. أن يهزمنا معنويًا ، قبل أن ينقض علينا ، ولقد استنفدت رصاصاتك ، و ..

قبل أن يتمّ عبارته ، برز الوحش فجأة من خلف الجدار المجاور ، وأطلق فحيحه المخيف ، ووثب عليهما فى وحشية .

وكانت انقضاضته عنيفة للغاية ، حتى أنها أسقطت (نور) و (أكرم) أرضًا ، وهتف الأول فى حنق ، ومسدسه ينزلق بعيدًا :

ـ إنه أكثر ذكاءً مما كنا نتوقّع .. لقد انتظر حتى نفدت رصاصاتك ..

كان الوحش يجثم فوق صدر (أكرم) بالفعل ، ويكشّر عن أنيابه ، استعدادًا لغرسها فى عنق هذا الأخير ، الذى هتف فى حدة :

ـ أنت وهو أخطأتما العد .

وضغط زناد مسدسه ، مستطردًا :

ـ إننى أترك رصاصة إضافية فى الماسورة .

دوت الرصاصة وسط الأطلال ، وأصابت صدر الوحش ، فانتزعته من فوق (أكرم) ، وضربت به الحائط فى عنف ، جعل (أكرم) يصرخ فى سعادة :

ـ لقد فعلتها .

انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، وهو ينهض واقفا ، ويحدق فى الوحش ، الذى التصق ظهره بالجدار لحظة ، وصدره يحمل بقعة ضخمة من الدم ، ثم أطلق فحيحًا مختنقًا ، وانزلق فى بطء ، قبل أن يستقر جثة هامدة عند قاعدة الجدار ، فصرخ (أكرم) مرة أخرى فى ظفر ، ولوّح بمسدسه ، صارخًا :

ـ لقد فعلتها .. لقد قتلت الوغد .. قتلت الوغد .

لم يصدّق (نور) أن الأمر قد انتهى بهذه البساطة ، فمدّ يده يعاون (أكرم) على النهوض ، دون أن يرفع عينيه عن جثة الوحش ، وغمغم .

ـ نعم يا (أكرم) .. لقد فعلتها .

انتفخت أوداج (أكرم) فى زهو ، وهو يعيد مسدسه إلى جيبه ، وألقى نظرة أخرى على جثة الوحش ، ثم قال :

ـ كنت أعلم أننى قادر على هذا .. كنت أعلم ذلك .

تمتم (نور) :

ـ بالتأكيد .

ثم استدار يتطلع إلى تلك الحجرة السرية ، التى فتحها الوحش ، مستطردا :

ـ وأراهن أننا سنجد هنا كل ما نحتاج إليه ، لكشف سر ذلك الوحش .

قالها ، واتجه فى خطوات واسعة نحو الحجرة السرية ، فلحق به (أكرم) ، وهو يسأل :

ـ ما كل هذه الأجهزة ؟! .. من أتى بها هنا ؟ .. وفيم يستخدمها ذلك الوغد ؟

أعنى فيم كان يستخدمها ؟

ألقى (نور) نظرة على الأجهزة ، قبل أن يجيب :

ـ كلها أجهزة تعليمية ، تستخدم لبث المعلومات عبر العقل مباشرة .. من الواضح أن بعضهم كان يسعى لتعليم ذلك الوحش وتثقيفه ، أو بث فكرة بعينها فى ذهنه .

سأله (أكرم) :

ـ أية فكرة ؟

هزّ (نور) رأسه ، قبل أن يجيب :

ـ لن يمكننا معرفتها ، قبل أن نفحص تلك الأجهزة ..

أشار (أكرم) إلى صندوق صغير ، فى ركن

الحجرة ، وهو يقول :

ـ وما هذا ؟

اقترب (نور) من الصندوق ، ورفع غطاءه فى حذر ، ثم التقى حاجباه فى شىء من التساؤل ، وهو يقول :

ـ إنها أمبولات تحوى عقارًا ما .. لست أدرى طبيعته بالضبط ، ولكننى أعتقد أن ذلك الوحش كان يحتاج إليه بشدة ، وبصفة دورية .

أطلق (أكرم) ضحكة ساخرة ، وهو يلتفت مشيرًا إلى حيث سقط الوحش ، قائلاً :

ـ إنه لم يعد يحتاج إليها الآن ، على أية حال .

تجمدت سبابته بغتة ، واتسعت عيناه فى دهشة ، وهو يحدق فى الموضع ، قبل أن يهتف :

ـ (نور) .. الوحش .

استدار إليه (نور) ، قائلاً فى توتر :

ـ ماذا به ؟

لم يجب (أكرم) مباشرة ، ولكن (نور) تطلع بدوره إلى حيث ترك جثة الوحش ، ثم أطلق شهقة دهشة قوية ..

لقد أصبح المكان خاليًا ، واختفى منه الوحش ..

اختفى تمامًا ..

وفى نفس اللحظة التى انتبه فيها (نور) إلى هذا ، وثب الوحش بغتة داخل الحجرة السرية ، وهو يطلق فحيحه المخيف ..

والعجيب أن صداره لم يكن يحمل أثر الرصاصة ، التى أطلقها عليه (أكرم) ..

لم يكن يحمل أدنى أثر .

ولقد انتبه (نور) إلى هذا فى اللحظة الأولى ..

وكان هذا كل ما حصل عليه من وقت ..

ففى اللحظة التالية مباشرة ، طوّح الوحش يده ذات المخالب الحادة ، وأصابه فى عنقه بضربة قوية عنيفة ، دفعته عدة أمتار إلى الخلف ، وجعلته يرتطم ببعض الأجهزة التعليمية ، ويسقط معها أرضًا ..

واستدار الوحش ليواجه (أكرم) ، الذى نفدت كل رصاصات مسدسه ، فصاح به هذا الأخير فى غضب :

ـ تظنك ربحت أيها الوغد .

ثم وثب يركل الوحش بقدمه ، مستطردًا :

ـ ولكنك لن تظفر بنا لقمة سائغة .

تراجع الوحش بحركة سريعة ، متفاديًا الركلة ، فى نفس اللحظة التى هبَّ فيها (نور) واقفًا ، وهو يهتف :

قبل أن تفقد جنينها ، ثم وثب منها بغتة رأس ثعبان ضخم ، بدأ يلتهم جسدها فى سرعة ..

ـ نعم .. سنقاتل حتى النهاية .

بدأ جسد الوحش يتموّج بسرعة ، فقال (أكرم) فى عصبية :

ـ أية هيئة ستتخذ هذه المرة ؟! .. نمرًا أم ثعبانًا ضخمًا .. أم ..؟!

انعقد لسان (أكرم) بغتة ، واحتبست الكلمات فى حلقه ، عندما تحوّل الوحش بغتة إلى صورة طبق الأصل من زوجته (مشيرة) ، ووجهها يحمل ملامح رعب هائل ، جعله يهتف بصوت مختنق :

ـ أيها الوغد الحقير .

تبدّلت هيئة الوحش بسرعة ، ليتحوّل إلى صورة من (سلوى) ، فى حالة مزرية للغاية ، أصابت (نور) بشىء من التوتر ، وخاصة عندما برزت بطنها ، على نفس النحو الذى كانت عليه ، قبل أن تفقد جنينها ، ثم وثب منها بغتة رأس ثعبان ضخم ، بدأ يلتهم جسدها فى سرعة ..

وكان المشهد رهيبًا ..

رهيبًا بحق ..

صحيح أن (نور) كان واثقًا من أن هذه التى تقف أمامه ، ليست زوجته الحقيقية ، إلا أن مشهد

الثعبان الذى يلتهم جسدها بدا له أبشع من أن يحتمله ، فهتف :

ـ يالك من حقير !

وتقدّم نحو الوحش بحركة حادة ، فاستعاد ذلك الكائن هيئته الحقيقية فى لمح البصر ، وأطلق فحيحه المخيف ، ثم انقضَ على (نور) ، وغرس أنيابه فى كتفه .. وشعر (نور) بألم رهيب ، ولكنه استجمع كل قوته فى قبضته ، ولكم بها الوحش فى معدته ، فى نفس اللحظة التى انقضَ فيها (أكرم) على الوحش ، صائحًا :

ـ لن تربح أيها الوغد ..

انتزع الوحش أنيابه من كتف (نور) ، ووثب إلى الخلف ، متفاديًا انقضاضة (أكرم) ، وأطلق فحيحه المخيف ، و ..

وفجأة ، سطعت الأضواء فى المكان ، وارتفع صوت الدكتور (ناظم) وهو يهتف :

ـ (نور) .. (أكرم) .. أين أنتما ؟

ولم يكد الوحش يسمع هذا ، حتى كشّر عن أنيابه فى غضب ، ثم تراجع أكثر ، وهو يدير عينيه المشقوقتين طوليًا فى وجهى خصميه ، قبل أن يبرز

جناحا الخفاش من ظهره ، ويخفقان فى قوة ..

وبكل الغضب والسخط فى أعماقه ، اندفع (أكرم) نحو الوحش ، صارخا :

ـ لن تفلت هذه المرة أيضا .

وقفز محاولا التعلق بقدميه ، ولكن الأجنحة القوية كانت قد حملته عاليا ، وراحت تبتعد به بعيدا .. بعيدا ..

وفى نفس اللحظة ، التى وصل فيها الدكتور (ناظم) ، إلى حيث يقف (نور) و (أكرم) ، كان الوحش قد اختفى وسط السماء المظلمة ..

اختفى تماما .

* * *

١٤ ـ الاختراق ..

اكتظت الأطلال القديمة ، فى تلك الليلة ، بأعداد ضخمة من البشر ، من مختلف المهن ، على نحو لم تشهده منذ زمن بعيد ، فقد انهمك عدد من رجال المخابرات العلمية فى فحص تلك الحجرة السرية ، وانتشر عدد من رجال المعمل الجنائى للبحث عن عينات جديدة ، أو أدلة هامة ، وراح فريق من المسعفين يضمّد جراح (نور) و (أكرم) ، فى حين أشار الدكتور (ناظم) إلى الحجرة السرية ، وهو يقول فى مرارة :

ـ إنها كارثة .. وجود هذه الحجرة السرية هنا كارثة .. إنها تعنى أن بعضهم قد نجح فى اختراق صفوفنا ، على نحو لم يحدث من قبل ، وأن الخطأ الذى أدى إلى وجود ذلك الكائن الوحشى ، كان مقصودًا والغرض منه هو إنتاج سلاح موجّه إلى صدورنا ، وليس إلى العدو .

قال (أكرم) فى دهشة :

ـ ولكنك لم تفحص تلك الأجهزة بعد .

هتف الدكتور (ناظم) :

ـ أفحص ماذا يا رجل ؟!.. يكفى أن تلقى نظرة واحدة على اسم الدولة ، التى تم صنع كل هذه الأجهزة فيها ، لتفهم كل شىء على الفور .. إنها مؤامرة رهيبة على أمننا يا سادة .. مؤامرة قذرة حقيرة .. هل تعلمون .. أراهن أن ذلك الوحش لم يكن سوى البداية .. أراهن أنهم ، وبعد نجاح تجربتهم الحقيرة ، كانوا سينتجون الآلاف منه ، ويطلقونها علينا .

قال (نور) فى اهتمام :

ـ كيف ؟

لوّح الدكتور (ناظم) بذراعه كلها ، وهو يقول :

ـ إنه أمر بسيط .. ضعهم فقط على الحدود ، و...

قاطعه (نور) فى سرعة :

ـ لست أقصد هذا ، وإنما أقصد كيف يمكنهم السيطرة على مخلوقات كهذه ؟!.. كيف يضمنون أنهم لن ينقلبوا عليهم ، ولن يستخدموا ذكاءهم المتفوّق فى محاربتهم ، بدلًا من محاربتنا ؟

بدت علامات الفهم فورًا على (أكرم) ، فى حين

قال الدكتور (ناظم) :

ـ هناك وسلية حتمًا .

وهنا أشار (أكرم) إلى صندوق الأمبولات ، وهو يقول فى حماس :

ـ بالطبع .. وهاهى ذى .

حدق الدكتور (ناظم) فى الصندوق ، وقال فى حذر :

ـ وما هذا بالضبط ؟

أجابه (نور) هذه المرة :

ـ هذا يحتاج إلى فحص معملى ، ولكننى أستطيع أن أجزم بأن ذلك الوحش يحتاج حتمًا إلى تلك المادة ، التى تحويها هذه الأمبولات ، وأنه يستخدمها بمعدل أمبول واحد يوميًا ، فلو عددنا الأمبولات الناقصة ، ستتفق تمامًا مع عدد الأيام التى انقضت ، منذ فرّ الوحش من معاملنا .

أحصى الدكتور (ناظم) الأمبولات الناقصة فى سرعة ، قبل أن يقول :

ـ هذا صحيح .. سنعمل على فحص تلك المادة على الفور .

قال (أكرام) بلهجة تحمل رائحة السخرية :

ـ وماذا عن صاحبها ؟

عقد الدكتور (ناظم) حاجبيه وهو يقول :

ـ ماذا تقصد يا سيد (أكرم) ؟

قلد (أكرم) أسلوبه ، وهو يكرر العبارة :

ـ ماذا تقصد يا سيد (أكرم) ؟!.. أنت تعلم جيدًا ماذا أقصد .. إننى أتحدث عن الشخص المسئول عن كل هذا .. عن وزير الدفاع .

اتسعت عينا الدكتور (ناظم) فى شىء من الهلع . عندما نطق (أكرم) بالكلمة ، وتلفت حوله فى توتر . وكأنه يخشى أن يكون أحد المحيطين بهم قد سمع القول . ثم همس مرتبكا :

ـ مازلت لم أقتنع بعد باتهامكم للسيد وزير الدفاع . ثم إننا لا نملك حتى الآن سوى بعض القرائن . وليس بأيدينا دليل مادى واحد .

بدت علامات التفكير على وجه (نور) لحظات . قبل أن يقول :

ـ أعتقد أن باستطاعتى تقديم دليل كاف للإدانة .

هتف به (أكرم) :

ـ حقًا .

فى حين سأله الدكتور (ناظم) فى قلق :

ـ وكيف يمكنك أن تفعل هذا يا (نور) ؟

بدت لهما ابتسامته غامضة . وهو يقول :

ـ لدى وسيلة جيدة يا سيدى .. جيدة ومبتكرة ..

وازدادت ابتسامته غموضا ..

* * *

مط وزير الدفاع شفتيه فى ضجر . وهو يتطلع إلى ساعته ، قبل أن يقول فى شىء من الحنق :

ـ أى سبب هذا ، الذى يدفع القائد الأعلى للمخابرات العلمية ، إلى طلب مقابلتى على نحو عاجل ، فى مثل هذه الساعة ؟

قال أركان حربه (*) فى هدوء :

ـ لا ريب فى أنه سبب هام للغاية ، وإلا ماطلب هذا .

هز الوزير رأسه ، وهو يقول فى ضيق :

ـ ولكنها العاشرة والنصف مساء الآن ، وأنا أعمل منذ الصباح الباكر ، وأشعر بإجهاد شديد .

هز أركان حربه كتفيه ، وقال بنفس هدوئه :

(*) أركان الحرب : لقب يطلق على فئة متخصصة من الضباط ، يعاونون قائد التشكيل العسكرى ، فى الشئون العسكرية الفنية ، ويتلقون دراسات متخصصة فى كلية أركان الحرب . وهناك فئة أخرى غير متخصصة ، للإشراف على الشئون الإدارية بالوحدات ، ويطلق عليها أيضا اسم (أركان الحرب) .

ـ لا بأس .. هذا لا يحدث كل يوم .

وافقه الوزير بإيماءة من رأسه . وهو يغمغم :

ـ أنت على حق .. هذا لا يحدث كل يوم .

لم يكد يتم عبارته ، حتى ارتفع أزيز جهاز الاتصال الخاص ، على سطح مكتبه ، ثم خرج منه صوت مدير مكتب الوزير ، وهو يقول :

ـ القائد الأعلى للمخابرات العلمية وصل يا سيادة الوزير .

أجابه الوزير :

ـ دعه يتفضل فورا .

ونهض لاستقبال القائد الأعلى للمخابرات العلمية ، وصافحه فى ترحاب ، وهو يقول :

ـ مرحبا بك فى مكتبى أيها القائد الأعلى .. بقدر ما تسعدنى زيارتك لى ، إلا أننى أشعر معها بالحيرة والتساؤل ، فمن النادر أن تطلب مقابلتى هنا .

أجابه القائد الأعلى فى هدوء :

ـ الظروف حتمت هذا .

سأله الوزير فى اهتمام :

ـ أية ظروف هذه ؟

صمت القائد الأعلى لحظات ، فأشار الوزير إلى أركان حربه ، قائلا :

ـ تحدث بحرية يا رجل .. إنه أركان حربى ، والمفروض ألا أخفى عنه شيئا .

قال القائد الأعلى :

ـ فليكن .. إننى أتساءل : لماذا أصدرت أمرا بفك الحصار ، الذى طلبنا إقامته حول الأطلال القديمة ؟

عقد الوزير حاجبيه ، وهو يقول :

ـ الأطلال ؟!

أجابه القائد الأعلى :

ـ نعم .. المفروض أن القانون يحتم أن ...

ثم بتر عبارته بغتة ، وقفزمن مقعده ، وهتف وهو يشير إلى ما خلف الوزير :

ما هذا بالضبط ؟!

استدار الوزير وأركان حربه إلى حيث يشير القائد الأعلى ، واتسعت عينا الوزير فى دهشة وذعر ، وهو يهتف :

ـ رباه !.. ما هذا الشىء ؟

كان يحدق مباشرة فى ذلك الوحش ، الذى برز من النافذة ، وتقدم نحوهم فى خطوات بطيئة ، ولكن أركان حربه صاح فى دهشة :

ـ ما الذى أتى بك إلى هنا ؟

التفت إليه الوزير فى دهشة بالغة ، وهتف :

ـ هل تعرف هذا الشىء البشع ؟

لم يبد على أركان حربه أنه سمع عبارته ، وهو يصرخ فى وجه الوحش ، فى انفعال عنيف :

ـ ما الذى أتى بك إلى هنا ، أيها الأحمق الغبى ؟

لقد أفسدت كل شىء ، ثم استحالت ثورته كلها إلى ذهول عارم ، عندما فوجئ بالوحش يقول :

ـ على العكس .. لقد كشفت أمرك .

جحظت عينا أركان الحرب ذهولا ، عندما رأى الوحش يرفع يديه إلى رأسه ، وينتزعه من مكانه ، فيظهر تحته وجه (نور) الذى يستطرد :

ـ لقد أدهشك هذا .. أليس كذلك ؟

بقى أركان حرب الوزير لحظات صامتا ، يحدق فى وجه (نور) بدهشة شديدة ، ثم لم يلبث أن هتف فى حنق :

ما هذا العبث ؟

أجابه القائد الأعلى :

ـ من المؤكد أنه ليس عبثا يا رجل .. لقد استخدمنا أفضل تقنياتنا ، لنصنع هذا الزى ، استنادا إلى الأفلام المسجلة لدينا لفترة تدريب الوحش فى

معاملنا ، فى أقصر فترة ممكنة ، ثم أعددنا خطتنا لنباغتكما بظهوره فى مكتب السيد الوزير ، اعتمادا على نظرية رد الفعل .

قال أركان الحرب فى حدة :

ـ أى رد فعل ؟!.. أى شخص يرى ذلك سيصاب حتما بالفزع .

أجابه (نور) :

ـ هذا صحيح ، ولكن فزعه هذا لن يمتزج بالغضب والسخط ، ولن يجعله يصرخ فى وجه الوحش ، ويسأله لماذا أتى إلى هنا ، ثم يصفه بالحماقة والغباء ، إلا إذا ..

أكمل القائد الأعلى :

ـ إلا إذا كان يعرفه جيدا ، ويعلم أنه ليس من المفروض أن يأتى إلى هنا .

بدا الغضب على وجه وزير الدفاع ، وهو يقول :

ـ ما الذى يحدث هنا أيها السادة ؟.. ما معنى تلك المسرحية ، التى تلعبونها فى مكتبى ؟

أجابه (نور) :

ـ معذرة يا سيادة الوزير ، ولكن هذه المسرحية تعنى أن أركان حربك وكاتم أسرارك ، لم يكن أهلا

لهذه الثقة ، وأنه ، فى حقيقة أمره ، مجرد جاسوس ، اخترق به الأعداء صفوفنا ، ونجحوا فى تغطية حقيقة أمره حتى بلغ هذا المركز الشديد الحساسية .

هتف الوزير ، فى مزيج من الذعر والذهول ، وهو يحدق فى وجه أركان حربه :

ـ جاسوس !!

صاح الرجل فى حدة :

ـ لاتصدق هذا يا سيدى .. لا تصدق حرفا مما قالوه .

بدت الحيرة العصبية على وجه الوزير ، فى حين قال القائد الأعلى فى حزم :

ـ هل تقبل الخضوع لجهاز كشف الكذب ؟

امتقع وجه الرجل ، وزاغت عيناه ، وبدا أشبه بفأر سقط فى المصيدة ، و(نور) يقول :

ـ أسوأ ما فى الأمر ، هو أنك حاولت إلصاق التهمة بالسيد وزير الدفاع ، وكاد هذا يخدعنا بالفعل ، لولا أننى لم أقتنع أبدا بأنه من الطبيعى أن يعلن الوزير عن تورطه ، على هذا النحو المكشوف ، فيستخدم أوراق مكتبه ، وسيارته ، وحارسه الخاص ، وكان التفسير الأقرب إلى المنطقية ، هو أن أحد

المقربين إلى سيادة الوزير . هو الذى يفعل كل هذا . ويستغل القلم الإليكترونى الخاص بسيادته (*) . لإصدار تلك الأوامر الزائفة .

ازداد امتقاع وجه الرجل . وهو يتلفت حوله . قائلا :

ـ يمكننى أن أستنتج أن كل مادار هنا يتم تسجيله بالصوت والصورة .. أليس كذلك ؟

أجابه القائد الأعلى . وهو يعقد ساعديه أمام صدره :

ـ بل بالتصوير الهولوجرافى المجسم . وبإذن مسبق من نيابة أمن الدولة العليا .. كل شىء قانونى تماما يا رجل . ولم يعد هناك مفر .

هتف الرجل فجأة :

ـ فيما عدا هذا الباب ؟

ثم اندفع نحو باب حجرة الوزير . وفتحه بسرعة . و...

(*) القلم الإليكترونى : قلم خاص . يتم توصيله بكمبيوتر صغير . بحيث يختزن توقيع شخص ما . ويعمل على تكراره آليا . بالضغط على زر خاص . ولقد كان الرئيس الراحل (أنور السادات) يستخدم واحدا من هذه الأقلام

وهوت لكمة كالقنبلة على فكه . فألقته ثلاثة أمتار إلى الخلف . وسقط فى منتصف الحجرة تماما . فى نفس اللحظة التى ظهر فيها (أكرم) على عتبة الباب ، وهو يقول ساخرا :

ـ لاخروج . قبل نهاية العرض .

شاركه (نور) والقائد الأعلى ابتسامته ، وكل منهما يشعر فى أعماقه بمزيج من الظفر والارتياح ..

لقد انتهى هذا الجزء من المهمة بنجاح ، وتم كشف الجاسوس ، وإلقاء القبض عليه . ولم يعد متبقيا سوى القضاء على الهدف الأصلى ..

الحرباء ..

* * *

« أركان حرب الوزير هو الجاسوس ؟.. »

هتفت (هناء) بالعبارة ، بكل ما حملته نفسها من دهشة ، وهى تجلس فى معمل أبحاث الجينات ، قبل أن تهز رأسها ، وتضيف :

ـ من كان يصدق هذا ؟

أشار إليها (نور) ، قائلا :

ـ اطرحى هذا الأمر جانبا الآن يا(هناء) ؛ فقد تولاه رجال نيابة أمن الدولة العليا ، أما نحن فما زلنا

نواجه مشكلتنا الرئيسية ، الخاصة بذلك الوحش ..

ثم مال نحوها ، وسألها فى اهتمام بالغ :

ـ هل ظهرت نتائج تحليل المادة التى تحويها الأمبولات ، التى عثرنا عليها ، فى تلك الحجرة السرية ؟

أجابته وهى تلتقط التقرير :

ـ نعم .. والنتيجة مدهشة .. هل تعلمان ما طبيعة تلك المادة ؟.. إنها مادة (الفيبرينوجين) ، المسئولة عن تكون (الفيبرين) فى الجسم ، عند الإصابة بالجروح ، إذ إن (الفيبرين) أحد العوامل الهامة ، اللازمة لإتمام التئام الجروح .

قال (أكرم) فى دهشة :

ـ ولماذا يتناول الوحش هذا (الفبير ينوجين) يوميًا ؟

أجابته فى اهتمام :

ـ لأنهم انتزعوا من تركيبه الجينى الجينات المسئولة عن الإفراز الطبيعى لمادة (الفيبرينوجين) ، فى جسده ، ثم إن المادة التى يحصل عليها معالجة بوسائل حديثة ، بحيث تؤدى إلى التئام الجروح بسرعة مدهشة ، ولو لم يحصل الوحش على جرعاته

اليومية من المادة ، فلن تلتئم جروحه قط ، وأية إصابة محدودة ، ستؤدى لمصرعه .

تألقت عينا (أكرم) ، وهو يهتف :

ـ لقد حصلنا على كل الموجود من تلك المادة ، ولم يعد بإمكانه الحصول عليها مرة ثانية .. رائع .. يكفى إذن أن نطلق عليه بضع رصاصات ، لينتهى أمره إلى الأبد .

قال (نور) :

ـ هذا لو عثرنا عليه .

ثم التفت إلى (هناء) ، وسألها :

ـ ألم ترشدك بصمته الجينية الحقيقية بعد ، إلى نمطه السلوكى المثالى ؟

بدت على شفتيها ابتسامة ظافرة واثقة ، وهى تجيب:

ـ بالطبع .. إننى لم أحصل على شهادتى عبثًا .

ثم مالت إلى الأمام ، مستطردة :

ـ لقد عرفت المكان المثالى ، الذى سيتخذه ذلك الوحش للاختباء .

سألها (أكرم) فى لهفة :

ـ وأين هو ؟

استدارت إلى خريطة كبيرة لـ (القاهرة) تحتل جزءًا

جزءا من الحائط خلفها ، وأجابت وهى تشير إلى نقطة منها :

ـ هنا .

وكانت سبابتها تشير إلى منطقة سكنية قديمة ، أصبحت مهجورة تماما ، منذ عدة سنوات ..

منطقة (المقطم) ..

* * *

طرقت (مشيرة) باب حجرة (سلوى) فى رفق ، وهى تهمس :

ـ هل يمكننى الدخول .

أدارت إليها (سلوى) عينين حزينتين بائستين ، وهى تقول فى صوت خافت :

ـ ادخلى يا (مشيرة) .

تقدمت منها (مشيرة) ، وجلست على طرف فراشها ، ورمقتها بنظرة مفعمة بالمودة والحنان ، قبل أن تقول فى رقة :

ـ كيف حالك الآن ؟

زفرت (سلوى) فى حرارة ، وهو تومئ برأسها ، قائلة :

ـ حمداً لله .. لقد أصابتنى صدمة عنيفة فى

البداية ، عندما علمت أننى فقدت ذلك الجنين ، الذى كنت أترقب قدومه ، ليعوضنى عن غياب ابنتى (نشوى) ، إلا أننى لم ألبث أن تقبلت قضاء الله (سبحانه وتعالى) وقدره ، ورضيت بنصيبى هذا ومن يدرى ؟ .. ربما كان فقدان الجنين أفضل من رؤيته ينمو شريرا أو فاسدا .

ربتت (مشيرة) على كتفها ، مغمغمة :

ـ كل شىء يمكن تعويضه يا (سلوى) .. أنت و (نور) ما زلتما شابين ، ويمكنكما إنجاب طفل آخر بإذن الله .

أومأت (سلوى) برأسها موافقة ، وعادت تتنهد ، قبل أن تقول :

ـ أعلم هذا يا (مشيرة) ، ولكننى لم أشعر فى حياتى كلها بمثل هذه الوحدة .. (نشوى) رحلت مع (رمزى) و (نور) يطارد وحشا رهيبا ، وأنا فقدت جنينى :

مالت (مشيرة) نحوها ، وابتسمت قائلة :

ـ كيف تكونين وحيدة ، وأنا إلى جوارك ؟

تطلعت إليها (سلوى) فى امتنان ، قبل أن تهمس متأثرة :

- إننى أعتز كثيرًا بصداقتك يا (مشيرة) .

ثم شرد بصرها ، وهى تستطرد :

- ولكن ما يقلقنى الآن هو أمر (نور) .

جاء دور (مشيرة) لتتنهد ، وهى تقول :

- أعتقد أننا نتشارك فى هذا الشعور ، فالقلق يكاد يعصف بنفسى ، فى لهفتى لمعرفة مصير (أكرم) .

كان هذا آخر ما تبادلتاه من حديث ، فى تلك اللحظات ، فقد شردت كل منهما تمامًا بعدها ، وهما تفكران فى زوجيهما ..

فى (نور) و (أكرم) ، اللذين استعدا لأخطر مواجهاتهما مع الوحش ..

للمواجهة الأخيرة .

* * *

١٥ ـ الليل والجبل ..

انقشعت الغيوم فى بطء ، لتكشف شيئًا فى النجوم ، فى تلك الليلة المظلمة ، وبدت منطقة جبل المقطم ساكنة صامتة ، كعهدها منذ عدة سنوات ، بعد أن تم إخلاؤها من ساكنيها إثر الزلزال الثالث ، عام ألفين وتسعة .

ولكن فى تلك الليلة ، لم يكن السكون تامًا ، ولم يكن الصمت مطبقًا ..

كان هناك رجلان ، يتسلقان الجبل الشهير فى نشاط ملحوظ ، ويفحصان كهوفه العديدة فى همة واضحة ..

(نور) و (أكرم) ..

وكانت الساعة قد تجاوزت الثالثة والنصف صباحًا ببضع دقائق ، عندما جلس (أكرم) فوق صخرة كبيرة وهتف :

- لقد سئمت كل هذا .. إننا نفتش تلك الكهوف منذ أكثر من خمس ساعات دون جدوى .. لقد بدأت أشك فى صحة استنتاج تلك الخبيرة البيولوجية المأفونة .

أجابه (نور) :

- من الواضح أننا نختلف تماما ، من هذه الزاوية ، فأنا أثق بها تماما .

لوّح (أكرم) بكفه ، هاتفا :

- كيف ؟! .. لقد فتشنا نصف كهوف المنطقة ، دون أن نعثر على أدنى أثر !

أشار (نور) بسبابته ، قائلا :

- مازال أمامنا النصف الآخر .

مطّ (أكرم) شفتيه ، وانتزع منظار الرؤية الليلية عن عينيه ، قائلا فى حدة عصبية :

- لن نعثر على شىء يا (نور) .. أنا واثق .

خُيّل إليه أن (نور) لم يسمعه قط ، وهو يحدّق فى بقعة بعيدة ، فسأله :

- هل رأيت شبحا يا رجل ؟

أشار (نور) إلى تلك البقعة البعيدة ، وهو يقول :

- ماهذا بالضبط ؟

ارتدى (أكرم) منظاره مرة ثانية ، وتطلّع إلى حيث يشير (نور) ، وبدت له تلك الكومة ، الراقدة أمام مدخل أحد الكهوف ، أشبه بشخص نائم ، تكوّر على نفسه لاتقاء البرد ، فغمغم :

- عجبا !.. إنه يبدو لى كشخص مستغرق فى النوم .

قال (نور) ، فى شىء من الانفعال :

- وهل يبدو لك أنه من المنطقى أن يأتى شخص عاقل ، إلى منطقة مقفرة كهذه ، ليحصل على قسط من النوم ؟

هز (أكرم) رأسه ، وهو يقول :

- ومن قال إنه شخص عاقل ؟

ثم التفت إلى (نور) ، مستطردا ، وقد انتقلت إليه موجة الانفعال :

- أو أننا كذلك ؟

ودون أن يتبادلا كلمة واحدة إضافية ، نهض الاثنان ، واتجها مباشرة إلى تلك البقعة ..

واستغرق الأمر منهما ربع الساعة ، عبر منطقة صخرية شبه متصدعة ، حتى بلغا ذلك المكان ، وعندئذ انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، وهو يحدّق فيما بدا له من بعيد أشبه بجسد نائم ، فى حين هتف (أكرم) ، فى مزيج من الدهشة والغضب والاشمئزاز :

- رباه ! .. ياللبشاعة !

فقد كان ذلك الذى أمامهما جثة ممزقة بشدة ..

ضحية جديدة للحرباء شبه البشرية ، آكلة اللحوم ، بعد أن التهمت ذراعيها وعنقها ، وجزءا من صدرها .

وفى غضب . قال (نور) :

ـ كنت أعلم أننا نسير فى الطريق الصحيح .

أما (أكرم) ، فقد استلّ مسدسه . وقال فى حدة :

ـ ذلك الوغد .. أقسم أن أمزّقه إربا ، إذا ما وقعت يدى عليه .

أشار إليه (نور) ، هامسا فى توتر :

ـ اخفض صوتك يا رجل . فلن نمنحه الفرصة للفرار هذه المرة أيضا .

تطلّع (أكرم) داخل الكهف ، قبل أن يسأله :

ـ هل تعتقد أنه هنا .. فى الداخل ؟

أجابه (نور) :

ـ نعم .. أعتقد أنه مثل معظم الكواسر ، يلتهم فريسته أمام وكره ، ثم يخلد لنوم عميق .

عقد (أكرم) حاجبيه لحظات ، ثم قال فى حزم :

ـ هيا بنا .

توقّف الاثنان أمام مدخل الكهف الكبير لحظات ، قبل أن يمسك كل منهما مسدسه فى قوة ، ويدلفان إليه فى حذر وتحفز .

كان الكهف واسعا مظلما ، ولكن منظاريهما أمّنا لهما رؤية معقولة ، جعلتهما يجتازان الممر الطويل ،

وهما يديران عينيهما فيما حولهما ، قبل أن يغمغم (أكرم) فى عصبية :

ـ لست أرى أدنى أثر له .

أشار إليه (نور) بوضع سبابته على شفتيه ، طالبا منه التزام الصمت التام ، خشية أن ينتبه الوحش إلى وجودهما . ثم أشار بيده الأخرى إلى أرضية الكهف . فلاحظ (أكرم) لأول مرة آثار الأقدام المفلطحة ، ذات الزوائد الجلدية الطرفية ، المطبوعة على الرمال ، والتى تتجه إلى عمق الكهف ، وسرى فى جسده توتر إضافى ، جعله يقبض على مسدسه فى قوة أكثر ، ويسير إلى جوار (نور) صامتا ، متحفزا ، و ..

وفجأة ، أمسك به (نور) ، وهمس :

ـ احترس .

لم يدر (أكرم) فى البداية ، لماذا فعل (نور) هذا ، ثم انتبه بغتة إلى تلك الفجوة أمامه مباشرة ، والتى بدت عميقة إلى حد كبير ، وتحتل بقعة واسعة . فمط شفتيه وهمس :

ـ كيف لاحظتها ؟

أجابه (نور) فى صوت خافت للغاية ، وهو يدور حول الفجوة :

ــ لقد اعتدت التأكد من موضع قدمى ، قبل أن أمضى فى طريقى .

تبعه (أكرم) ، وهو يتمتم :

ــ دائما تتفلسف فى كل موقف يا (نور) .

ابتسم (نور) ، دون أن يعلق ، وواصل طريقه عبر الكهف ، وهو يدير عينيه فيما حوله ، حتى قادهما الممر الأمامى إلى بقعة واسعة ..

وهنا خفق قلب (أكرم) فى عنف ، وسرت فى جسده مشاعر وانفعالات مختلفة ، وقبضت أصابعه على مسدسه فى قوة ، فى حين تألقت عينا (نور) ببريق قوى ، كاد يضىء المكان كله ، وهو يشارك (أكرم) التطلع إلى ذلك المشهد العجيب ، الذى لم يتخيل أحدهما رؤيته قط ..

ففى منتصف تلك المساحة الواسعة ، فى قلب (المقطم) ، ومن السقف الذى يبلغ ارتفاعه ما يقرب من ثلاثة أمتار ، كان يتدلى ذلك الوحش المفترس مقلوبا ، ومتعلقا فى نتوءات السقف بقدميه ، تماما كما تفعل الخفافيش (*) ، وقد استغرق فى نوم عميق .

(*) الخفافيش تنام مقلوبة ، ومعلقة فى أسقف الكهوف فى المعتاد

ومن المؤكد أن ذلك المشهد لم يكن عاديا .. لم يكن كذلك أبدا ..

ولهذا جمد (نور) فى مكانه لحظة ، فى حين وقف (أكرم) فاغرا فاه ، يتطلع إلى الوحش النائم مشدوها ، ثم لم يلبث أن انتفض فى عنف ، وكأنما يطرح كل انفعالاته عن جسده ، ورفع مسدسه ، وصوبه إلى رأس الوحش مباشرة ، وهو يصرخ من أعماقه :

ــ وقعت أيها الوغد .

وفى انفعال لم يستطع كتمانه ، تحرك نحو النقطة ، التى تدلى منها الوحش ، و ..

وفجأة ، هتف (نور) ثانية :

ــ احترس يا (أكرم) .

وفى نفس اللحظة ، شعر (أكرم) بقدمه تطأ الفراغ ، فاختل توازنه ، وكاد يسقط فى فجوة أخرى ، مماثلة لتلك التى تفاداها فى الممر ، ولكن (نور) وثب نحوه ، وهو يهتف :

ــ أمسك يدى .

تحرك (أكرم) على نحو غريزى ، ودفع ذراعيه إلى الأمام ، ورأى يد (نور) تندفع نحوه ، فتشبث بها فى قوة ، وشعر بشىء يرتطم بصدره ، ثم يسقط فى الفجوة .

قبل أن يجذبه (نور) بكل قوته خارجها ..

وفى اللحظة التى وطأت فيها قدماه الأرض ، خارج الفجوة ، أدرك (أكرم) طبيعة ذلك الشىء ، الذى ارتطم بصدره ، وسقط فى الفجوة ..

وكاد عقله ينفجر ، من شدة الغضب والسخط ..

لقد كان ذلك الشىء مسدسه ..

مسدسه المميز ..

وفى حنق ، هتف (أكرم) :

ــ المسدس .. اللعنة ! .. لقد فقدته .

ولكنه لاحظ ذلك الوجوم ، الذى غمر وجه (نور) ، فاستدار يتطلع إلى حيث ينظر هذا الأخير ، وتضاعف غضبه فى عنف ، وهو يحدق فى تلك البقعة من السقف ، التى كان يتدلى منها الوحش منذ لحظات ..

وكان مبعث غضبه أن الوحش لم يعد هناك ..

لقد اختفى ..

اختفى تمامًا ..

* * *

انطلقت زفرة ملتهبة كبركان ثائر ، من أعمق أعماق القائد الأعلى للمخابرات العلمية ، وهو يراجع النتائج الأولية للتحقيقات ، قبل أن يقول للدكتور (ناظم) ، فى توتر شديد :

ــ هل رأيت كل هذا يا رجل ؟.. هل قرأت هذه التقارير ؟!

إنها كارثة !

لوح الدكتور (ناظم) بذراعيه ، قائلا :

ــ وأية كارثة يا سيدى .. لقد نجح جهاز مخابرات الأعداء فى اختراق صفوفنا على نحو مخيف ، حتى أنهم تخلصوا من أركان حرب السيد وزير الدفاع ، ووضعوا أحد رجالهم بدلا منه ، دون أن نكتشف هذا لعدة شهور ..

وضرب سطح مكتب القائد الأعلى براحته ، مستطردا :

ــ ثم تلك الآلات .. هل رأيت ما تفعله تلك الآلات ! التى عثرنا عليها فى الحجرة السرية ؟ .. إنها نظام متكامل لتدريب الوحش على نظم التجسس والقتال ، بالإضافة إلى عدد مخيف من الأسلحة ووسائل التدمير يكفى لتسليح فرقة انتحارية كاملة .. إننى أشعر بالعار ، لأنهم صنعوا كل هذا بنا .

تنهد القائد الأعلى مرة أخرى ، قبل أن يقول :

ــ من حسن حظنا أننا توصلنا إلى ما يدبرونه ، قبل أن يضربوا ضربتهم .

بدا التوتر أكثر ، على وجه الدكتور (ناظم) ، وهو يقول :

ـ وما أدراك أن هذا كل شيء ؟

انتقل توتره إلى القائد الأعلى ، وهو يسأله :

ـ ماذا تعنى ؟

لوّح بذراعه ، مجيبا :

ـ أعنى أن هذا ما عثرنا عليه .. ما أدرانا أنه لا توجد حجرات ومخابئ سرية أخرى فى الأطلال القديمة !

بدا الاحتمال مخيفا ، حتى أن القائد الأعلى تراجع فى مقعده ، وزوى ما بين حاجبيه ، وشبك أصابع كفيه أمام وجهه ، وهو يدرسه فى عمق ، قبل أن يقول :

ـ هل تعلم ! .. لم يرق لى أبدا بقاء تلك الأطلال القديمة .. لماذا لا تزال كلها ، وتقام بدلا منها أبنية حديثة ، وحدائق غنّاء ، ومبان وخدمات مختلفة ؟

قال الدكتور (ناظم) :

ـ يمكننا أن نتقدّم بهذا الاقتراح للمسئولين ، أما الآن ، فعلينا أن نجد وسيلة للتيقن من أننا لا نواجه خطرا آخر .

لوّح القائد الأعلى بأصابعه ، وهمّ بقول شيء ما .

عندما ارتفع أزيز جهاز الاتصال الخاص به ، فضغط أزراره ، وتطلّع إلى شاشته ، التى حملت وجه أحد مساعديه ، وهو يقول :

ـ سيدى .. الجاسوس يطلب التحدث معك مباشرة .

اعتدل القائد الأعلى ، وهو يسأله :

ـ ماذا يريد ؟

هزّ المساعد رأسه ، وهو يقول :

ـ إنه لم يفصح يا سيدى ، ويطلب التحدث إليك وحدك .

صمت القائد الأعلى لحظات ، ثم أدار عينيه إلى الدكتور (ناظم) ، وقال :

ـ ما رأيك ؟

قال الدكتور (ناظم) بسرعة :

ـ لا بأس . دعنا نر ما لديه .

تطلّع القائد الأعلى إلى صورة مساعده ، وقال :

ـ فليكن .. دعنى أتحدث إليه .

تلاشى وجه المساعد تدريجيًا ، ثم ظهرت صورة الجاسوس ، وبدا شديد التوتر والعصبية والاضطراب ، وهو يقول :

ـ أخيرًا .

سأله القائد الأعلى فى صرامة :

ـ لماذا أردت التحدث إلىّ ؟

ازدرد الجاسوس لعابه ، قبل أن يقول فى عصبية :

— أريد التفاوض معكم .

تراجع القائد الأعلى فى مقعده ، وأبدى لا مبالاته ، وهو يقول :

— وما الذى يمكنك أن تمنحنا إياه ؟.. لقد ألقينا القبض عليك بالفعل .

قال الجاسوس :

— لدى ما يهمكم معرفته .

سأله القائد الأعلى فى لا مبالاة :

— مثل ماذا ؟

ازدرد الجاسوس لعابه مرة أخرى فى عصبية ، قبل أن يقول :

— دعنا نتفاوض أولاً .. سأخبركم مالدى ، وتتعهدون بقصر عقوبتى على خمس سنوات فحسب ، و ..

قاطعه القائد الأعلى فى حزم :

— لا يمكننى أن أعدك بهذا .

توتر الجاسوس فى شدة ، وهو يقول :

— ماذا تعنى بأنه لا يمكنك أن تعدنى بهذا ؟! .. لماذا أمنحكم ما لدى من أسرار بالغة الخطورة إذن ؟

قال القائد الأعلى :

— هات ما لديك أولاً ، وسنرى بعدها كم يساوى هذا .

اضطرب الجاسوس أكثر ، وراح يفرك أصابعه فى توتر ، قبل أن يقول :

— فليكن .. أعتقد أن هذا سيساعد حتماً على تخفيف العقوبة .

قال القائد الأعلى فى حسم :

— تعاونك معنا يفيدك بالتأكيد .

عضّ الجاسوس شفتيه ، وقال :

— حسن .. أنا أعرف موضع المخابئ الأخرى ، ويمكننى أن أرشدكم إليها .

تألقت عينا الدكتور (ناظم) فى ظفر ، فى حين حافظ القائد الأعلى على هدوء ورصانة ملامحه ، وهو يقول :

— عظيم .. حدّد مواقعها لمساعدى .. والآن .. هل لديك معلومات أخرى ؟

صدم هذا الأسلوب الجاسوس ، الذى كان يتوقّع رد فعل أكثر قوة ، وشعوراً بالامتنان أكثر ، فارتبك بشدة ، وقال :

— هل تعلم ما تحويه تلك المخابئ ؟

هزّ القائد الأعلى كتفيه ، وقال :

— ستحوى ما كان فى المخبأ الأوّل حسبما أعتقد .

بدت خيبة الأمل على وجه الجاسوس فخفض عينيه

لحظات ، وبدا أقرب إلى الانهيار ، وهو يعود ليرفعهما قائلا :

ـ أستطيع أن أخبركم أيضا ، ما فائدة تلك الأمبولات ، التى وضعناها هناك .

قال القائد الأعلى فى هدوء :

ـ لا تقلق نفسك بهذا ، فقد علمنا أنها نوع معالج من (الفيبرينوجين) ، لتعويض عدم قدرة الوحش على انتاجه بنفسه ، ولمساعدة جراحه على الالتئام بسرعة كبيرة .. لقد أدركنا ماهيتها ، واستولينا عليها كلها ، وحرمنا الوحش من العثور عليها واستخدامها ..

قال الجاسوس فى عصبية :

ـ أهذا كل ما تعلمونه ، عن تأثير هذه المادة ؟

تسلل الشك إلى نفس القائد الأعلى ، وهو يسأله :

ـ ألها تأثير آخر ؟

أجابه الجاسوس فى توتر :

ـ بالطبع .. لقد استخدمناها أصلاً للسيطرة على الوحش ، وضمان ولائه المستمر ، وعالجناها على نحو خاص ، بحيث يؤدى حرمانه منها إلى نتيجتين أساسيتين .. الأولى هى أن تفقد إصاباته وجروحه القدرة على الالتئام .

سأله القائد الأعلى ، وهو يعتدل فى اهتمام :

ـ والثانية ؟

ازدرد الجاسوس لعابه مرة أخرى ، قبل أن يجيب :

ـ والثانية هى أن تتضاعف النزعة الوحشية فى أعماقه ، ويصبح أكثر شراسة وعنفًا .

لم يكد ينطق عبارته هذه ، حتى اتسعت عينا الدكتور (ناظم) فى هلع ، وقفز عقله إلى الرجلين اللذين خرجا للبحث عن ذلك الوحش ، وهو فى قمة وحشيته وشراسته ..

إلى (نور) و (أكرم) ..

* * *

١٦ ـ الضربة الأخيرة ..

تلفت (نور) و (أكرم) حولهما فى توتر شديد ، وعيونهما تدور فى المكان فى عصبية . عندما كشفا اختفاء الوحش ، وقبض (أكرم) أصابعه فى حنق ، حتى كادت تمتزج ببعضها ، مع شعوره العنيف بالعجز ، بعد أن فقد سلاحه ، وأصبح أعزل . فى حين أدار (نور) سلاحه ، وهو يقول :

ـ إنه هنا ، فى مكان ما .. لقد أيقظته صيحتى ، وأدرك الخطر الذى يواجهه ، ولا ريب فى أنه يستعد للانقضاض علينا الآن .

انعقد حاجبا (أكرم) ، وهو يفحص كل ما حوله ببصره ، قائلا :

ـ اللعنة ! .. إننى أكره هذا الموقف .

هتف به (نور) فى حدة :

ـ ألا تكف أبدًا عن لعن كل ما يحدث ؟!.. إننى أبغض سماع هذا اللفظ .

صاح به (أكرم) :

ـ وما شأنى بكراهيتك أو حبك للأمور ؟! .. أنا أفعل ما يحلو لى .

كاد (نور) يشتبك معه فى مشاجرة لفظية ، إلا أنه انتبه فجأة إلى خطأ ما يفعلانه ، فقال بسرعة :

ـ رويدك .. أنا أعتذر .. لقد ألهب الموقف أعصابى ، وكدت أفقد سيطرتى عليها .

غمغم (أكرم) :

ـ لا عليك .. أنا أيضا وقعت فى الخطر نفسه .

ثم عادا يديران عيونهما فيما حولهما ، قبل أن يقول (أكرم) فى عصبية :

ـ لماذا لا يهاجمنا ؟

قال (نور) فى توتر :

ـ ربما ينتظر اللحظة المناسبة ، أو ..

قبل أن يتمّ عبارته ، انفصل جزء من الجدار بغتة ، وانقضّ عليه ، وتحوّل فى لحظة إلى ذلك الوحش ، الذى ضرب مسدس (نور) بعيدًا ، وهو يطلق ذلك الفحيح الرهيب ، فصاح هذا الأخير :

ـ احترس يا (أكرم) .

وهوى بقبضته على وجه الوحش ، الذى انحنى فى مرونة مدهشة ، وطوّح ذراعه بكل قوته ، فضرب به

وجه (نور) ، وألقاه إلى الخلف فى عنف ، فانقضّ عليه (أكرم) ، هاتفًا :

ـ اثنان ضد واحد .. أعتقد أنك خسرت مباراتك الأخيرة أيها الوغد .

قفز ليركل الوحش بكل قوته ، ولكن هذا الأخير كشّر عن أنيابه فى وحشية شديدة ، ومال جانبًا ، متفاديًا ركلة (أكرم) ، ثم وثبت يده ذات المخالب ، لتقبض على كاحل هذا الأخير ، وتدفعه بقوة ، ليسقط على ظهره أرضًا فى عنف ..

وفى دهشة بالغة ، هتف (أكرم) ، وهو يشترك مع (نور) فى نظرة مشدوهة إلى الوحش :

ـ من أين أتى هذا الوغد بتلك القوة ؟

نقل الوحش بصره بينهما فى شراسة زائدة ، ثم لوّح بقبضتيه ، وأطلق فحيحه الرهيب ، الذى امتزج بنبرة ظفر واضحة ، جعلت الغضب يتصاعد إلى رأس (أكرم) ، ويشتعل فى عينيه ، فوثب واقفًا ، وهو يقول :

ـ أنت تريد قتالاً يدويًا .. أليس كذلك ؟.. فليكن أيها الوغد .. هيا قاتل ..

رمقه الوحش بنظرة وحشية ، وأطلق فحيحه مرة

وهوى بقبضته على وجه الوحش ، الذى انحنى فى مرونة مدهشة ، وطوّح ذراعه بكل قوته ، فضرب به وجه (نور) ، وألقاه إلى الخلف فى عنف ..

أخرى ، ومخالبه تبرز على نحو مخيف ، فهبّ (نور) واقفًا بدوره ، وهو يقول :

ـ لا تهاجمه وحدك يا (أكرم) .. سننقض عليه معًا .. اثنان أفضل من واحد .. استعد ..

ثم اندفع نحو الوحش ، صائحًا :

ـ ابدأ ..

انقضّ الاثنان على الوحش من الجانبين ، ولكن هذا الأخير تموّج بغتة ، وتحوّل إلى شيء أشبه بالأخطبوط ، برزت منه أربع أذرع ، تصدّى كل زوج منها لأحدهما ، فأمسك ذراعان بوسط (نور) ، وحملتاه فى قوة ، لتلقياه نحو الجدار المقابل ، فارتطم به فى عنف ، وسقط على وجهه ، فى حين التفّت ذراع حول وسط (أكرم) ، ثم تحوّلت نهاية الذراع الثانية إلى قبضة ، هوت على فكه بلكمتين صاعقتين ، قبل أن تضرب به الذراع الأولى الأرض ، وتلقيه بعيدًا ..

ومع آلامهما العنيفة المبرّحة ، نهض (نور) و (أكرم) ، يحدقان فى الوحش ، وغمغم الأوّل فى دهشة :

ـ يبدو لى وكأن قوته قد تضاعفت ..

قال (أكرم) فى توتر :

ـ وشراسته أيضًا .

استعاد الوحش هيئته ، وأطلق فحيحه الظافر المزهو ، ثم عاد يرمقهما بنظراته المخيفة ، فقال (أكرم) :

ـ ما الذى يفعله بنا بالضبط ؟ .. إنه لا يحاول قتلنا مباشرة ، بل يعبث بنا ، كما يفعل القط بالفأر ، قبل أن يلتهمه .

غمغم (نور) ، وهو يحدّد موقع مسدسه بالضبط :

ـ ربما كان هذا جزءًا من متعته .

نهض (أكرم) ، وهو يقول :

ـ ومن سيمنحه فرصة الاستمتاع ؟

وضمّ قبضتيه ، وهو يواجه الوحش ، مستطردًا :

ـ هيا أيها الوغد .. حاول أن تقاتل مرة واحدة كالرجال .

تطلّع إليه الوحش لحظة ، ثم تموّج جسده مرة أخرى ، وتحوّل إلى هيئة بشرية لملاكم محترف ، اتخذ وقفته الاستعدادية ، وهو يضمّ قبضتيه ، ويتأهب للقتال ..

واتسعت عينا (أكرم) فى دهشة ، وهو يقول :

- عجبًا ! .. إنه يتخذ لكل موقف هيئته .

تحرك ذلك الملاكم نحو (أكرم) ، وكأنه يحثه على القتال ، وانبعث من بين شفتيه ذلك الفحيح المخيف ، فازدرد (أكرم) لعابه ، وقال :

- فليكن .. لا تتصوّر أبدًا أننى سأتراجع ، حتى ولو اتخذت هيئة بطل العالم فى الملاكمة (*) .

ثم انقضّ عليه ، ووجّه إليه لكمة قوية فى وجهه ، صدّها بذراعه بسرعة مدهشة ، ثم هوى على فك (أكرم) بلكمة قوية ، فى نفس اللحظة التى تلقّت فيها معدته لكمة أكثر قوة ، جعلته يسقط أرضًا ، وهو يهتف :

- كيف فعلت هذا ؟

واتسعت عيناه فى دهشة ، عندما تطلّع إلى ذلك الملاكم الوحشى ، ورأى أربع أذرع تبرز من جسده ، وكلها تحاول توجيه اللكمات إليه ، فصاح :

(*) الملاكمة : لعبة عُرفت قديمًا وكانت تمارس بالأيدى العارية ، وليس لجولاتها زمن محدود ، وتنتهى بسقوط أحد الملاكمين مغشيًا عليه ، أو بانسحابه ، ثم تطوّرت إلى ما هى عليه الآن ، فأصبح ارتداء القفازات إجباريًا ، وتم تحديد عدد ثلاث جولات رسمية ، مدة كل منها ثلاث دقائق ، ولها أربعة قضاة ، وحكم للحلبة ، التى يبلغ طول ضلعها ٦,١ متر .

- هذا غير قانونى .

ولكن الوحش انقضّ عليه ، وراحت الأذرع الأربع تلكمه كلها فى آن واحد ، فى فكه ، وأنفه ، وصدره ومعدته ، فسقط أمامها مهزومًا مدحورًا ، فى نفس اللحظة التى استغل فيها (نور) الموقف ، ووثب نحو مسدسه ، والتقطه بسرعة ، ثم استدار يصوّبه إلى حيث يقف الوحش ، صائحًا :

- فليكن .. لقد انتهت المباراة .

وانعقد حاجباه فى شدة ، عندما رأى (أكرم) ملقى أرضًا ، دون أن يظهر أدنى أثر للوحش ، على مقربة منه ..

ولا حتى فى المكان كله ..

وعندما اعتدل (أكرم) جالسًا ، لم تكن دهشته بأقلّ من دهشة (نور) ، الذى قال متوترًا :

- لقد اختفى مرة أخرى .

نهض (أكرم) فى حذر ، وراح يدور حول نفسه ، وهو يقول :

- إنه يعبث بنا .

أجابه (نور) ، وهو يقترب منه :

- كلاّ .. لقد شاهدنى أستعيد مسدسى ، فانتحل هيئة

أى شىء مما يحيط بنا ، حتى لا أطلق النار عليه .. إنه يعلم أن إصابته هذه المرة تعنى مصرعه .

قال (أكرم) ، وهو يواصل دورانه حول نفسه :

ــ بالتأكيد .. وهذا الوغد ذكى ، بما يكفى لحماية نفسه جيدًا .

قال له (نور) ، وهو يتحرك فى حذر شديد :

ــ أراهنك على أن أول ما سيسعى إليه ، هو تجريدى من سلاحى ، والمفروض أن نمنعه من هذا .

أشار إليه (أكرم) ، قائلاً :

ــ دعنا نتبع نفس الأسلوب السابق .. سيلتصق كل منا بظهر الآخر ، وندور حول نفسينا .. هيا .. اقترب .

تراجع (نور) بظهره ، حتى شعر بظهر (أكرم) فالتصق به ، وهو يقول :

ــ فكرة جيدة يا (أكرم) .. قل لى : هل يبدو لك أى جزء من الجدار غير طبيعى ؟

أجابه (أكرم) :

ــ كلا كل شىء يبدو طبيعيًا ، ولكن ..

بتر عبارته بغتة ، عندما لفحت عنقه أنفاس ملتهبة ، جعلته يستدير فى سرعة ، قبل أن يصرخ ، وهو يقفز مبتعدًا :

ــ احترس يا (نور) .

وثب (نور) إلى الأمام فى سرعة ، ولكن يد الوحش أطبقت على معصمه فى سرعة ، وغرست فيه مخالبها الحادة ، ثم انتزعت منه مسدسه .

واتسعت عينا (نور) فى ذهول ، وهو يحدق فى تلك الهيئة الجديدة ، التى اتخذها الوحش هذه المرة ..

لقد حول جانبيه إلى ما يشبه ظهرى (نور) و (أكرم) ، مع احتفاظه بوجهه الحقيقى ، وترك كل منهما يلتصق بأحد جانبيه ، وهما يظنان أنهما يلصقان ظهر كل منهما بالآخر ..

وعندما حاول (نور) أن يبتعد ، انتزع منه مسدسه ، وألقاه بعيدًا ..

فى قلب الفجوة القريبة ..

وتراجع (نور) و (أكرم) فى توتر شديد ، بعد أن فقدا سلاحيهما ، ووقف الوحش أمامهما يطلق فحيحه المخيف ، ويلوح بمخالبه فى شراسة ، وكأنه يدعوهما لقتاله ، فقال (نور) فى سخط :

ــ إنه يزهو بانتصاره .

قال (أكرم) فى عصبية :

ــ هذا واضح ، ولكن السؤال الأكثر خطورة الآن ، هو : ما خطوته التالية ؟

أجابه (نور) فى حزم :
ــ ومن ذا الذى سينتظر خطوته التالية ؟
سأله (أكرم) :
ــ ماذا تعنى ؟
أجابه فى حماس :
ــ دعنا نفعل ما يمليه علينا واجبنا يا رجل .. سنقاتل حتى آخر رمق .
تشابكت أصابعهما ، وهتفا فى آن واحد :
ــ على بركة الله .
ثم انقضّا انقضاضة رجل واحد على الوحش ، وصاح (نور) ، وهو يلكمه بكل قوته .
ــ خذها منا أيها الوغد .
ولكن الوحش انخفض بغتة ، وتقلطح على نحو عجيب ، فطاشت لكمات (نور) و (أكرم) فى الهواء وفقدا توازنهما ، وعندما مال جسداهما إلى الأمام ، استعاد الوحش هيئته بغتة ، وأطلق فحيحه ، وهو يضرب صدريهما بمخالبه الحادة القوية ، ويلقيهما بعيدًا عنه ..
وشعر (نور) بالآلام الحادة فى صدره ، وشاهد الدماء تلوث قميصه الممزق ، فى حين لم يصب

(أكرم) إصابة شديدة ، لأن مخالب الوحش مزقت ضمادات جراحه القديمة ، وبلغت أطرافها جسده فحسب ..
ويبدو أن الوحش قد أدرك أن إصابة (نور) أكثر عنفًا ، فقد استدار إليه ، وهاجمه بشراسة عنيفة ، وغرس مخالبه فى كتفه ، وهو يطلق فحيحه المخيف فى وجهه ، ويبرز أنيابه القوية ، التى يهم بدفنها فى عنقه .
كان من الواضح أنه قد انتقل ، من مرحلة العبث إلى الجولة الأخيرة ، وقرر القضاء على خصميه مباشرة ..
وبلا رحمة ..
ولكن (أكرم) لم يحتمل رؤية الوحش ، وهو يفترس (نور) أمام عينيه ، لذا فقد انتزع مدية صغيرة من حزامه ، ووثب نحو الوحش ، صارخًا :
ــ لن تفعل أيها الحقير .
وتعلق بعنقه من الخلف ، وهو يغرس المدية فى صدره ، فتراجع الوحش عن (نور) ، وهو يطلق فحيحًا عنيفًا ، يموج بالألم ، ثم مال إلى الأمام فى قوة ، ودفع (أكرم) إلى الأمام ، فارتطم بـ (نور) فى قوة ،

وسقط الاثنان أرضا ، ولكن (أكرم) اعتدل فى سرعة ، وهبَّ واقفا ، وهو يحمل مديته ، و ..

ولكن الوحش كان قد اختفى مرة ثانية ..

كان من الواضح أنه يتحاشى أى احتكاك ، يمكن أن يؤدى إلى إصابته بجراح ، لن تلتئم أبدا ..

وفى توتر ، قال (أكرم) :

ـ لقد بدأ فى قتلنا يا (نور) .

ولما لم يتلق جوابا ، التفت إلى (نور) ، هاتفا :

ـ (نور) .

واتسعت عيناه فى ارتياع ، عندما رأى الدم الذى يغمر صدر (نور) ، ويسيل من عنقه وكتفه ، فهزّه فى قوة ، صائحا :

ـ لا يا (نور) لا تسقط هكذا .. قاوم يا (نور) .. قاوم .

فتح (نور) عينيه ، وبذل جهدا خرافيًا ليقف على قدميه ، وهو يقول :

ـ سأفعل يا (أكرم) .. سأفعل .. لن أسمح لذلك الوغد بهزيمتنا قط .

قالها بكلمات واهنة ، وقدماه ترتجفان فى تهالك ، والدم يغمر صدره أكثر وأكثر ، فهتف به (أكرم) :

ـ (نور) .. أنت مصاب بشدة .

أجابه (نور) فى إعياء شديد :

ـ ولكننا سنقاوم يا (أكرم) ، حتى آخر ، ..

وقبل أن يتمّ عبارته ، هوى بين ذراعى (أكرم) الذى احتواه فى ارتياع ، وهو يصيح :

ـ لا يا (نور) .. لا .

ثم استدار إلى فراغ الكهف ، وراح يصرخ :

ـ أيها الوغد .. أيها الحقير .

وحمل (نور) على كتفيه ، وهو يدير عينيه فيما حوله فى توتر بالغ ، ويلوّح بمديته الصغيرة ، هاتفا :

ـ أيها القاتل الحقير .. أيها القذر ..

كان يتحرّك عبر الممر الطويل فى سرعة ، وانتبه جيدا ، وهو يتفادى تلك الفجوة العميقة ، حتى بلغ نهاية الكهف ، فأرقد (نور) فوق الصخور الضخمة ، وهو يقول فى ارتياع :

ـ (نور) .. يا إلهى !.. (نور) .. إنك تحتاج إلى إسعافات عديدة ..

فتح (نور) عينيه فى صعوبة ، وهو يقول :

ـ الوحش يا (أكرم) .. إنها فرصتنا الوحيدة .. لن نتراجع الآن .

أجابه (أكرم) فى حزم :

ـ اطمئن يا صديقى .. لن نتراجع .

تهالك جفنا (نور) ، بعد أن نطق (أكرم) عبارته ، فاعتدل هذا الأخير ، وكرّر فى صرامة :

ـ لن نتراجع أبدًا .

ثم نهض واقفًا ، وأدار رأسه فى بطء إلى الكهف ، ثم قبض على مديته الصغيرة فى قوة ، وعاد أدراجه إلى داخل الكهف ..

وفى الفراغ المتسع ، فى نهاية الكهف ، وقف (أكرم) يدير عينيه فيما حوله ، وهو يقول :

ـ أين أنت أيها الحقير ؟.. اخرج لتواجهنى .. هيا .. افعل ، لو أنك مقاتل بحق .

لم يتلقَ جوابًا ، أو يلمح حركة واحدة ، تحت ذلك الضوء الأخضر الباهت ، الذى يبدوله ، عبر عدستى منظار الرؤية الليلية ، ولكنه كان واثقًا من أن الوحش يختفى فى مكان ما هنا ..

بين طيات الجدران ، أو فى أرضية المكان ، أو صخوره ..

ولكنه هنا حتمًا ..

ومرة أخرى ، لوّح (أكرم) بمديته الصغيرة ، هاتفًا :

ـ هيا .. اظهر أيها الوغد .

كانت المدية التى يحملها صغيرة للغاية ، بالنسبة لسلاح يواجه به مثل هذا الوحش ، ولكنه كان يدرك جيدًا أن الوحش لن يغامر بمواجهته قط ، ما دام يلوّح بها ، لأنه يدرك مصيره جيدًا ، إذا ما أصابته عدة جروح منها ..

ولقد أصابه (أكرم) بأحد هذه الجروح بالفعل ..

ولكن هذا لا يكفيه ..

لقد وعد (نور) بأنه لن يتراجع قط ..

وهو لن يحنث بوعده أبدًا ..

ولثوان ، وقف (أكرم) يفكّر فى الأمر ، ويدير عينيه فيما حوله ، ثم لم يلبث أن صاح :

ـ فليكن أيها الحقير .. أنت تعلم أننى أعشق الأسلحة التقليدية ، وعلى الرغم من هذا ، سأتخلى عن سلاحى الوحيد ، وأواجهك بالأيدى العارية ..

ثم ألقى مديته الصغيرة فى قوة ، وتركها تسقط فى الفجوة ، لتلحق بمسدسه ومسدّس (نور) ، ووقف أعزل ، فى مواجهة الوحش .

ومع سقوط المدية ، تموّج جزء من جدار الكهف فى بطء ، ثم انفصل ، واستعاد الوحش هيئته ، وأطلق

فحيحه الظافر ، وهو يرمق (أكرم) بعينيه المشقوقتين طوليًا كعيون الثعابين ، فقال (أكرم) فى عصبية :

ــ إذن فأنت تمتلك القدرة على الرؤية الليلية أيها الوغد .. كيف لم ننتبه إلى هذا فى البداية !

تقدم الوحش نحوه ، ولكن (أكرم) ظل ثابتا فى مكانه ، وعيناه تحملان نظرة متحدية صارمة ، حتى صار الوحش على قيد عدة أمتار منه ، فهتف فجأة :

ــ فليكن أيها الحقير .. الحق بى لو استطعت .

ثم استدار فى سرعة ، وانطلق يعدو عبر الممر ، نحو مدخل الكهف ..

وفى غضب ، أطلق الوحش فحيحه ، ثم انطلق خلف (أكرم) .

وعندما بلغت تلك الحرباء المفترسة منتصف الكهف ، انتبهت فجأة إلى الفجوة العميقة أمامها فتوقفت بغتة على حافتها ، وأطلقت فحيحا آخر ، وهى تبحث عن (أكرم) ، الذى اختفى ، و ..

وفجأة ، برز (أكرم) من شق عميق فى الجدار ، خلف الوحش تماما ، واندفع نحوه فى قوة . ثم وثب يضربه بقدميه ، صارخا :

ــ خدعتك أيها الوغد .

فقد الوحش توازنه ، وهوى فى الحفرة العميقة ، وارتطم بقاعها فى عنف ، ثم نهض واقفا ، ورفع عينيه إلى أعلى ، فارتطمتا بعينى (أكرم) الصارمتين ، وهذا الأخير يقول :

ــ تُرى ما شعورك الآن أيها الحقير ، وأنت سجين فى تلك الحفرة ؟

أطلق الوحش فحيحا غاضبا ، وبرز جناحا الخفاش من ظهره ، واستعد للتحليق بهما إلى أعلى ..

ولكن هذا لم يفلح ..

لقد كانت الفجوة أصغر من أن تسمح له بفرد جناحيه ، فأعادهما إلى ظهره ، وراح يتحوّر تدريجيًا إلى كائن مخلبى ، يمكنه تسلق جدران الفجوة ، ولكن (أكرم) قال فى صرامة :

ــ هذا يحتاج إلى وقت أيها الوغد ، ولقد سبق أن أخبرتك أننى أعشق الأسلحة القديمة ..

ثم أخرج من جيبه قنبلة يدوية ، وانتزع فتيلها بحركة قوية ، قبل أن يضيف :

ــ مثل هذه .

وألقى القنبلة داخل الفجوة ، ثم انطلق يعدو ، نحو مخرج الكهف ..

وتوقَّف الزمن تقريبًا بالنسبة إليه .

لقد خُيِّل إليه أنه جزء من مشهد بطيء ، على شاشة السينما ، وهو يعدو ويعدو ، ويعدو ..

وفى قلب الحفرة ، ألقى الوحش نظرة مذعورة على القنبلة ، ثم أطلق فحيحًا قويًا ، وهو ينظر إلى أعلى ، و ..

ودوى الانفجار ..

انفجار عنيف ، نسف الفجوة عن آخرها ، وتصاعدت منها كرة من اللهب ، مع موجة هائلة من التضاغط ، دفعت (أكرم) أمامها عدة أمتار ، قبل أن تقذفه خارج الكهف فى عنف ..

وتدحرج (أكرم) فوق الصخور ، ثم قفز نحو (نور) الفاقد الوعى ، وحماه بجسده من الصخور الصغيرة المتساقطة ، التى استمرَّت تهوى لبضع لحظات ، قبل أن يتوقَّف سقوطها ، ويعود إلى المكان هدوؤه التقليدى ، الذى دام لسنوات وسنوات ..

ومن بعيد ، كان قرص الشمس يبدأ رحلة الشروق ، نحو يوم جديد ..

وأمل جديد .

* * *

١٧ ــ الختام ..

أطلقت (سلوى) ضحكة صافية ، وهى تحتضن رأس زوجها (نور) ، الذى هتف بها ، وهو يرقد على فراشه بالمستشفى :

ــ رويدك يا عزيزتى .. لم أستعد لياقتى بعد ..

قالت فى سعادة :

ــ المهم أنك على قيد الحياة يا زوجى العزيز ، وستستعيد لياقتك فى سرعة كالمعتاد يا بطل :

ابتسم فى صمت ، وأدار عينيه ليتطلَّع إلى (أكرم) ، قائلاً :

ــ البطل الحقيقى هذه المرة هو (أكرم) .. لقد تخلَّص من الوحش وأنقذ حياتى ، و ..

قاطعته (مشيرة) ضاحكة :

ــ وكاد يتسبَّب فى انهيار جبل (المقطَّم) .

ضحك (أكرم) ، وهو يقول :

ــ أهذا كل ما جذب انتباهك ؟

التصقت به فى حب ، قائلة :

ــ هذا ما يحدث عادة لزوجات الأبطال .

مطّ شفتيه ، وهو يقول :

ـ دعونا من الحديث عن البطولة ، فما فعلته لم يكن عملاً خارقًا .. لقد كرهت ما يفعله ذلك الوحش ببنى البشر ، فقرّرت القضاء عليه .. هذا كل ما هنالك .

هتف (نور) ضاحكا :

ـ عظيم .. هذا يعنى أنك أصبحت تهتم ببنى البشر .

عقد (أكرم) حاجبيه ، وهو يقول :

ـ ألم أكن أهتم بهم من قبل ؟

لم تشأ (مشيرة) الخوض فى حديث كهذا ، فقالت بسرعة ، لتدير الدفة بعيدًا :

ـ هل تعلمون .. لقد نشرت أفضل تحقيق صحفى لهذا العام .. إننى الصحفية الوحيدة ، التى انفردت بنشر تفاصيل قصة ذلك الوحش .

قالت (سلوى) :

ـ ولكنك لم تشيرى إلى مصدره .

هزّت (مشيرة) كتفيها ، وقالت :

ـ هذا ليس ذنبى .. إنها ضروريات الأمن .

قال (نور) :

ـ هذا أفضل ، حتى لا يصاب الناس بالفزع ، بعد أن انتهت القضية .

ثم التفت إلى الخبيرة البيولوجية (هناء) ، وسألها مبتسمًا :

ـ لماذا لا تشتركين معنا فى الحديث ؟

رسمت (هناء) على شفتيها ابتسامة باهتة ، وهى تقول :

ـ إننى مرهقة فحسب ، فلم أحصل على قسط كاف من النوم .

وعلى الرغم من كونها صادقة تمامًا فى قولها هذا ، إلا أن أحدهم لم يكن يدرى ، ولا يمكنه أن يدرى السبب الحقيقى ، الذى سلب النوم من عينيها طوال الليل ..

لم يكن أحدهم يعلم أن أبحاثها أنبأتها بأن التجربة التى أنجبت ذلك الوحش كانت مزدوجة ، وأنها صنعت بويضتين مخصبتين متماثلتين ..

لقد انتجوا وحشين ، لا وحشًا واحدًا ..

وهى تعرف مصير الأوّل ، ولكن ماذا عن الثانى ؟!

ماذا فعلوا به ؟.. وأين ذهب ؟..

وبقيت أسئلتها مدفونة فى أعماقها بلا إعلان أو إفصاح ..

وبلا جواب .

* * *

[تمت بحمد الله]

ملف المستقبل

سلسلة روايات بوليسية للشباب من الخيال العلمي

المؤلف

د. نبيل فاروق

الحرباء

- ما سر ذلك الوحش الغامض ، الذى ظهر فجأة فى (القاهرة الجديدة) ؟!
- ما مصير فريق (نور) ، بعد عودته من (أرغوران) ؟!
- تُرى من يتصدّى للوحش شبه البشرى هذه المرة ؟ .. ومن يهزم (الحرباء) ؟!
- اقرأ التفاصيل المثيرة ، وواصل متعتك ، مع ملف المستقبل ..

الثمن فى مصر
١٥٠
وما يعادله بالدولار الأمريكى فى سائر الدول العربية والعالم

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة